العدد 21A 2 تموز 2026
المجلة العراقية للبحوث الانسانية والاجتماعية والعلمية
NO.21A2 Jul.2026 Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 Electronic ISSN2790-1254

الحضور الدلالي والبلاغي للقرآن الكريم في خطب نهج البلاغة

م.م. سارة عبود محسن
مديرية تربية واسط
smohsin@uowasit.edu.iq

مستخلص البحث

يتناول هذا البحث دراسة الحضور الدلالي والبلاغي للقرآن الكريم في خطب نهج البلاغة، مستهدفا تبيان طبيعة العلاقة العضوية والبيانية بين النص القرآني وكلام الإمام علي عليه السلام. يسعى البحث إلى كشف آليات التناص القرآني في الخطب الشريفة، وكيفية استلهام المعاني العقدية والتشريعية والتربوية، فضلا عن تحليل الخصائص البلاغية المشتركة. خلصت الدراسة إلى أن نهج البلاغة يمثل امتدادا بيانيا للقرآن الكريم، حيث وظف الإمام المفردة والتركيب القرآني لتعزيز الحجة الإقناعية والجمالية في خطبه.

Abstract:

This research examines the semantic and rhetorical presence of the Holy Quran in the speeches of Nahj al-Balagha, aiming to clarify the organic and graphic relationship between the Quranic text and the words of Imam Ali. The research seeks to reveal the mechanisms of Quranic intertextuality in the noble speeches, and how to inspire doctrinal, legislative, and educational meanings, as well as analyzing shared rhetorical characteristics. The study concluded that Nahj al-Balagha represents a graphic extension of the Holy Quran, as the Imam employed the Quranic vocabulary and structure to enhance persuasive and aesthetic arguments in his speeches.

مقدمة البحث

يعتبر نهج البلاغة من أرقى النماذج الأدبية والدينية التي جسدت بلاغة اللغة العربية بعد القرآن الكريم. إن العلاقة بين القرآن وخطب الإمام علي ليست مجرد اقتباس عابر، بل هي اندماج كلي في الرؤية والمنهج. يبرز الحضور الدلالي من خلال توظيف المفاهيم القرآنية في تفسير الوجود والتشريع، بينما يتجلى الحضور البلاغي في محاكاة النظم القرآني وتوظيف فنون البديع والبيان. تهدف هذه الدراسة إلى سبر أغوار هذا التمازج لبيان كيف استطاع الإمام أن يلبس كلامه حلة قرآنية مهيبة تؤثر في النفوس والعقول (1).

بيان المشكلة

تكمن مشكلة البحث في التساؤل عن مدى عمق التأثير القرآني في بنية الخطبة عند الإمام علي، وهل يقتصر هذا التأثير على الاقتباس اللفظي المباشر أم يتعداه إلى إعادة صياغة المفاهيم وبناء نسق بلاغي موازٍ؟ كما تسعى الدراسة لمعالجة إشكالية التمييز بين الحضور الدلالي (المعنوي) والحضور البلاغي (الجمالي) في نصوص النهج.

فرضيات البحث

1. يفترض البحث أن القرآن الكريم يمثل المرجعية الأساسية والوحيدة التي شكلت الوعي اللغوي والدلالي للإمام علي.
2. يفترض البحث وجود تناسب طردي بين استحضار الآيات القرآنية وبين قوة الحجة الإقناعية في الخطب السياسية والتربوية.
3. يفترض البحث أن نهج البلاغة استخدم "التناص" كأداة بلاغية لتعميق الدلالات الإيمانية.

أهمية البحث

تكمن أهمية البحث في تسليط الضوء على منبع الفصاحة في نهج البلاغة، وتقديم دراسة تحليلية تجمع بين فقه اللغة وعلوم البلاغة. كما تبرز أهميته في رفد المكتبة الأكاديمية بدراسة تطبيقية تبين أثر الوحي في الأدب العربي الرفيع، مما يساعد الباحثين في فهم أسرار البيان العلوي.

منهجية البحث

اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، من خلال تتبع النصوص والخطب في نهج البلاغة التي استلهمت مضامين قرآنية، ومن ثم تحليلها بلاغيا ودلاليا للكشف عن وجوه الائتلاف بين النصين.

الدراسات السابقة

تناولت دراسات عديدة نهج البلاغة من زوايا تاريخية أو فقهية، مثل شرح ابن أبي الحديد، ودراسات معاصرة ركزت على البنية الاستعارية، إلا أن الدراسات التي جمعت بين الحضور الدلالي والبلاغي بوصفهما وحدة موضوعية لا تزال بحاجة إلى مزيد من الاستقصاء والتحليل الأكاديمي الرصين.

المبحث الأول: الحضور الدلالي للقرآن الكريم في نهج البلاغة المطلب الأول: تجليات التوحيد والصفات الإلهية

يعتبر الحضور الدلالي للقرآن الكريم في نهج البلاغة حجر الزاوية الذي قامت عليه الرؤية الكونانية للإمام علي عليه السلام. إن الحديث عن التوحيد في فكر الإمام لا ينفصل أبداً عن المصدر الإلهي الأول وهو القرآن الكريم، حيث نجد أن المعاني القرآنية تتغلغل في نسيج الخطب لتشكل بنية فكرية متكاملة تهدف إلى تعريف الإنسان بخالقه بعيدا عن الأوهام المادية. يبدأ الإمام علي في العديد من خطبه بتقرير أصل الدين وهو معرفة الله، وهذه المعرفة ليست معرفة سطحية بل هي معرفة قائمة على التدبر في الآيات والآفاق، وهو ما يدعو إليه القرآن في قوله تعالى "سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق". إن الاستدلال على وجود الله وصفاته في النهج يعتمد بشكل أساسي على الدلالة القرآنية التي تربط بين النظام الكوني وبين حكمة الصانع. ففي الخطبة الأولى من نهج البلاغة نجد تفصيلا دقيقا لعملية الخلق ينسجم تماما مع قوله تعالى "الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين". الإمام هنا لا يقتبس اللفظ فحسب بل يعيد إنتاج الدلالة القرآنية بأسلوب برهاني يفكك مفهوم "القدرة الإلهية" ويشرحه للعقول بأسلوب ميسر. الحضور الدلالي هنا يظهر في استخدام مفردات مثل "الفاطر" و"البديع" و"الخالق" في سياقات تؤكد على أن الابتداء لم يكن عن مثال سبق، وهو جوهر التوحيد القرآني الذي ينزه الله عن الشريك والند. إن الإمام يسعى من خلال هذا الحضور إلى تثبيت أركان العقيدة في نفوس المسلمين، خاصة في مرحلة شهدت توسعا في الفتوحات ودخول شعوب ذات خلفيات فلسفية ومادية مختلفة. لذا نجد أن الخطاب العلوي يركز على تبيان أن الله سبحانه ليس جسما ولا جوهرا ولا عرضا، بل هو الوجود المطلق الذي لا يحد بحد ولا يقدر بقدر. هذه الدقة الدلالية مستمدة من الروح القرآنية التي تنادي بالتنزيه المطلق "ليس كمثله شيء". إن تحليل هذه النصوص يظهر أن الإمام كان يتحرك في مدار القرآن الكريم، فلم يكن كلامه مجرد تأملات شخصية بل كان تفسيرا موضوعيا ومنهجيا للمقاصد القرآنية العليا. إن الارتباط بين النصين هو ارتباط وجودي، حيث يصبح نهج البلاغة هو الميدان التطبيقي والحركي لمفاهيم التوحيد التي نزلت في الوحي، مما يجعله مرجعا أساسيا لفهم أسرار العقيدة الإسلامية الصحيحة (**الصالح، 1967، ص. 39**). إن التركيز على صفات الكمال مثل العلم والقدرة والحكمة يهدف إلى صياغة عقلية مؤمنة تدرك حضور الله في كل ذرة من ذرات الوجود، وهذا هو قمة الحضور الدلالي (**عبده، 1944، ص. 15**). كما أن الإمام يوظف مفهوم "الأولية" و"الآخرية" لله عز وجل بطريقة تمنع الذهن من الوقوع في فخ التجسيم، مؤكدا أن أولية الله ليست زمانية بل هي رتبية ووجودية، وهو ما ينسجم مع الآية "هو الأول والآخر". إن هذا المستوى من الشرح الدلالي يعكس عبقرية الإمام في استيعاب النص القرآني وتقديمه كمنظومة متكاملة تخاطب العقل والروح معا (**ابن أبي الحديد، 1959، ص. 42**).

في هذه الصفحة نستكمل تحليل الحضور الدلالي المتعلق بتنزيه الذات الإلهية عن الصفات البشرية والمادية، وهو المبحث الذي أولاه الإمام علي أهمية قصوى في نهج البلاغة استجابة لتعاليم القرآن الكريم. إن المفهوم القرآني للواحدية "وإلهكم إله واحد" يتجلى في خطب الإمام من خلال نفي الكثرة والتركيب والجزئية عن الله. الإمام يوضح أن وحدانية الله ليست وحدانية عددية، بل هي وحدانية صمدية تعني استغناءه المطلق عن كل ما سواه وحاجة كل ما سواه إليه. هذا الحضور الدلالي يظهر في قوله "واحد لا بتأويل عدد"، وهو شرح فلسفي لغوي عميق لمعنى كلمة "أحد" في سورة الإخلاص. إن الإمام يستخدم الدلالة القرآنية ليرسم حدودا واضحة بين الخالق والمخلوق، فلا يمكن للمخلوق أن يحيط بالخالق علما ولا وهما، وهو تصديق لقوله تعالى "ولا يحيطون به علما". هنا نجد أن الحضور الدلالي يعمل كحارس للعقيدة من الانحرافات التي قد تنجم عن محاولة العقل البشري قياس الغائب على الشاهد. إن الإمام يعالج قضية "رؤية الله" بدقة متناهية، مستندا إلى قوله تعالى "لا تدركه الأبصار"، فيبين أن الرؤية المقصودة في بعض النصوص هي رؤية القلوب بحقائق الإيمان لا رؤية العيون بمشاهدة الأعيان. هذا التوظيف للدلالة القرآنية يهدف إلى رفع مستوى الوعي الديني لدى الأمة وتوجيههم نحو عبادة الله وكأنهم يرونه، فإن لم يكونوا يروه فإنه يراهم. كما يحضر القرآن دلاليا في وصف "قيومية الله" وإحاطته بالكون، فالإمام يصف الله بأنه القائم على كل نفس بما كسبت، والرقيب الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة، وهي مفردات قرآنية أصيلة (**المطهري، 1985، ص. 115**). إن هذا الحضور الدلالي لا يقتصر على الجانب المعرفي بل يمتد للجانب الوجداني، حيث يشعر المؤمن بمراقبة الله الدائمة، مما يؤدي إلى استقامة السلوك. إن الربط بين التوحيد النظري والتوحيد العملي هو من أهم سمات نهج البلاغة، وهو انعكاس مباشر للمنهج القرآني الذي يربط دائما بين الإيمان والعمل الصالح. إن المتأمل في خطب الإمام يجد أنها عبارة عن سياحة فكرية في آيات الله، يستخلص منها

العبر ويصيغها في قوالب بيانية مهيبة تجذب القلوب وتخشع لها الأبصار (**العقاد، 1952، ص. 82**). إن الإمام يرفض أي محاولة لتمثيل الله بخلقه، ويرد على المشبهة والمجسمة بمنطق قرآني صرف، مستشهدا بآيات الخلق التي تظهر عجز البشر عن إدراك كنه أبسط المخلوقات فكيف بإدراك كنه الخالق. هذا الحضور الدلالي يجعل من نهج البلاغة حصنا منيعا ضد الأفكار التي تحاول المساس بقدسية الذات الإلهية، ويقدم رؤية توحيدية نقية تتطابق في جوهرها وتفاصيلها مع ما جاء في الكتاب العزيز (**الخطيب، 1988، ص. 67**).

المطلب الأول: الحضور الدلالي لمفهوم "العلم الإلهي" في نهج البلاغة

يتناول هذا القسم من المطلب الأول الحضور الدلالي لمفهوم "العلم الإلهي" في نهج البلاغة، وكيف استلهم الإمام علي هذا المفهوم من القرآن الكريم لبيان إحاطة الله بكل صغيرة وكبيرة في الوجود. القرآن الكريم يؤكد في آيات كثيرة أن الله يعلم "ما تسقط من ورقة إلا يعلمها" و"يعلم سركم وجهركم"، وهذه الدلالة تحضر في خطب الإمام علي بصورة تفصيلية ومؤثرة. يصف الإمام علم الله بأنه ليس علما مستفادا من تجربة أو نظر، بل هو علم ذاتي أزلي محيط بالموجودات قبل وجودها وبعد وجودها. الحضور الدلالي هنا يبرز في استخدام الإمام لألفاظ مثل "اللطيف" و"الخبير" و"عالم الغيب"، حيث يشرح معاني هذه الأسماء في سياق يبعث الرهبة والرجاء في نفس السامع. إن الإمام علي يربط دلاليا بين العلم الإلهي وبين قضية المسؤولية الإنسانية، فالله الذي يعلم "خائنة الأعين وما تخفي الصدور" هو الذي سيحاسب الخلائق على أعمالهم. هذا الربط الدلالي هو جوهر المنهج القرآني في التربية والتشريع. إن الإمام يفيض في وصف سعة علم الله بحيث يشمل ما تحت الثرى وما في قعر البحار وما في أعالي السماوات، بأسلوب يجعل القارئ يشعر بأن الله معه في كل لحظة. هذا الحضور الدلالي يعزز من مفهوم "التقوى" الذي هو جماع الأمر في القرآن وفي النهج. إن الإمام يستخدم مفردات قرآنية مثل "الإحصاء" و"الكتاب المبين" ليشير إلى دقة التسجيل الإلهي لأعمال العباد، وهو ما يحفز الإنسان على الالتزام بمنهج الاستقامة (**مغنية، 1972، ص. 201**). كما يبرز الحضور الدلالي في تبيان أن علم الله لا يشغله شأن عن شأن، ولا يمنعه علم شيء عن علم غيره، وهذا من خصوصيات الكمال الإلهي التي نبه إليها القرآن الكريم. إن الإمام في خطبه الفلسفية العميقة يرد على التساؤلات التي قد ترد على الأذهان حول كيفية علم الله بالجزئيات والكليات، ويجيب بمنطق القرآن الذي يقرر "ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير". إن دلالة العلم الإلهي في النهج تهدف أيضا إلى نفي الجهل والعجز عن الله، وتثبيت صفة القيومية التي تعني التدبير الدائم للكون بناء على علم وحكمة. إن هذا التمازج بين النص القرآني وكلام الإمام يخلق لغة فريدة تجمع بين الجزالة والمقصد الشرعي، مما يرسخ في عقلية المسلم مفهوما للتوحيد يتجاوز المجردات ليدخل في تفاصيل الحياة اليومية (**شبر، 1990، ص. 142**). إن الباحث في نهج البلاغة يدرك أن الإمام لم يكن يتحدث عن إله بعيد عن خلقه، بل عن إله "قريب مجيب"، وهو ما يعكس الحضور الدلالي لمفاهيم القرب والود في القرآن الكريم، مما يضفي صبغة روحانية عميقة على الخطاب العلوي (**البحراني، 1984، ص. 95**).

ينتقل الحضور الدلالي في نهج البلاغة إلى مستوى آخر يتعلق بصفة "القدرة والخلق"، حيث يستمد الإمام علي رؤيته لميكانيكية الخلق ونظام الكون من الوحي القرآني. القرآن الكريم يصف الله بأنه "بديع السماوات والأرض" وأنه "على كل شيء قدير"، وهذه المفاهيم تتحول في نهج البلاغة إلى أوصاف تفصيلية مذهلة تبين عظمة الصانع. الإمام يركز دلاليا على مفهوم "الابتداع" الذي يعني الإيجاد من عدم دون الحاجة إلى أدوات أو مادة أو مثال سابق، وهو جوهر القدرة الإلهية المطلقة. نجد في خطبه وصفا لخلق السماء والأرض والملائكة والطيور والحيوانات بأسلوب يعتمد على الدلالة القرآنية في لفت النظر إلى "إتقان الصنع". إن الحضور الدلالي هنا يهدف إلى تقوية الإيمان من خلال المشاهدة والتدبر، وهو المنهج الذي سلكه القرآن في آيات "أفلا ينظرون". الإمام علي يستخدم مفردات مثل "فطر" و"أنشأ" و"ذرأ" وهي كلمات قرآنية تحمل دلالات دقيقة حول كيفية بدء الوجود. إن الإمام يشرح أن قدرة الله لا يعجزها شيء، وأن أمره "بين الكاف والنون"، وهي إشارة دلالية لقوله تعالى "إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون". هذا الحضور الدلالي للقدرة الإلهية يربطه الإمام بقضية "المعاد والبعث"، فالله الذي قدر على الخلق الأول قادر بالضرورة على الإعادة، وهو استدلال قرآني صريح "كما بدأنا أول خلق نعيده". إن الإمام يوظف هذا الحضور الدلالي ليرد على منكري البعث والنشور، مبينا أن إحياء الموتى ليس بأعجز على الله من خلقهم أول مرة. كما يتجلى الحضور الدلالي في وصف التوازن الكوني، حيث يصف الإمام كيف أن الله "أمسك السماوات والأرض أن تزولا"، وهو اقتباس دلالي مباشر من الآية القرآنية التي تحمل نفس المعنى. إن هذا التماسك بين مفاهيم القدرة والخلق في النهج وبين أصولها القرآنية يظهر أن الإمام علي كان يرى الوجود بعين القرآن، ويترجم هذه الرؤية في خطب تهز المشاعر وتوقظ العقول (**ضيف، 1960، ص. 145**). إن الإمام يبين أن الله لم يخلق الخلق عبثا ولا تركهم سدى، بل خلقهم بالحق وللحق، وهو ما ينسجم مع الدلالة القرآنية في قوله "وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين". هذا المطلب يؤكد أن نهج البلاغة هو

المرجع الأول بعد القرآن في تبيان أسرار الخليقة وحكمة الخالق، حيث يقدم الإمام علي شرحا وافيا لمقاصد الخلق وغاياته بأسلوب يعجز عنه الوصف (**السيوطي، 1973، ص. 215**). إن الحضور الدلالي هنا يعمل على بناء شخصية مسلمة تعتز بخالقها وتدرك مقامها في هذا الكون الفسيح (**الزمخشري، 1987، ص. 55**).

تختتم هذه الصفحات الخمس من المطلب الأول بتناول الحضور الدلالي لمفهوم "العدل الإلهي" والحكمة في نهج البلاغة، وهو المفهوم الذي يربط بين الصفات الذاتية والتشريع الإنساني. القرآن الكريم يقرر أن "الله لا يظلم الناس شيئا" وأنه "قائم بالقسط"، وهذه الدلالة تحضر في نهج البلاغة كقاعدة أساسية يقوم عليها تصور الإمام للكون والمجتمع. الإمام علي يشرح أن عدل الله ليس مجرد صفة بل هو قانون يحكم الوجود، فالله وضع كل شيء في موضعه وأعطى كل ذي حق حقه. الحضور الدلالي هنا يبرز في استخدام الإمام للقرآن في نفي الظلم عن الله، وفي التأكيد على أن المصائب والابتلاءات التي تصيب البشر هي نتيجة لأعمالهم، وهو تصديق للآية "وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم". هذا الحضور الدلالي للعدل يهدف إلى ترسيخ مفهوم "الثواب والعقاب" القائم على الاستحقاق، مما يشجع الناس على العمل الصالح. إن الإمام علي يربط دلاليا بين العدل الإلهي وبين ضرورة إقامة العدل في الأرض، فالحاكم الذي يمثل إرادة الله يجب أن يتصف بالعدل، وهو ما يظهر في عهد الإمام لمالك الأشتر. الحضور الدلالي هنا يحول المفهوم العقدي إلى منهج سياسي واجتماعي. كما يحضر القرآن دلاليا في وصف "حكمة الله" التي تتجلى في كل تدبير، فالإمام يبين أن الله لا يفعل شيئا عبثا بل لكل فعل غاية ومصلحة، وإن خفيت على العباد. هذا الحضور الدلالي للحكمة يساعد الإنسان على تقبل القضاء والقدر بصدر رحب، إيمانا منه بأن الله أرحم به من نفسه، وهي دلالة قرآنية عميقة "والله يعلم وأنتم لا تعلمون". إن المتتبع لنهج البلاغة يجد أن صفة العدل تحضر دائما في سياق الحديث عن اليوم الآخر، حيث ينصب الله الموازين القسط، وهو ما ورد في القرآن "ونضع الموازين القسط ليوم القيامة". الإمام علي يوظف هذه الدلالة ليرهب الظالمين ويطمئن المظلومين، مبينا أن العدالة الإلهية ستأخذ مجراها لا محالة (**الطباطبائي، 1971، ص. 180**). إن هذا المستوى من الحضور الدلالي يجعل من نهج البلاغة وثيقة حقوقية وأخلاقية مستمدة من روح الوحي. إن الإمام يخلص في خطبه إلى أن التوحيد الحقيقي هو الذي يثمر عدلا وإحسانا، وهو ما نادى به القرآن في قوله "إن الله يأمر بالعدل والإحسان". بهذا نكون قد استكملنا المطلب الأول، مبينين كيف أن مفاهيم التوحيد والصفات في نهج البلاغة هي صدى بليغ وعميق للدلالات القرآنية، صاغها الإمام علي بأسلوب يجمع بين دقة الوحي وفصاحة البيان البشري الرفيع (**الشيرازي، 1980، ص. 220**). إن هذا الترابط الدلالي هو الذي منح النهج خلوده وقدرته على التأثير عبر العصور، بوصفه المفسر الأول والمطبق الأوفى لكتاب الله العزيز (**الرازي، 1999، ص. 310**).

المطلب الثاني: الحضور الدلالي للقيم الأخلاقية والتربوية

يمثل الحضور الدلالي للقيم الأخلاقية والتربوية في نهج البلاغة الامتداد العملي للمنظومة القرآنية التي جاءت لتتمم مكارم الأخلاق. إن الإمام علي في خطبه لم يكن منظرا أخلاقيا فحسب، بل كان يترجم المفاهيم القرآنية المجردة إلى سلوكيات حركية تهدف إلى بناء الفرد والمجتمع. يتجلى هذا الحضور في مفهوم "التقوى" الذي يعد القطب الذي تدور حوله معظم خطب النهج، وهو المفهوم ذاته الذي جعله القرآن الكريم معيار التفاضل الوحيد بين البشر في قوله: "إن أكرمكم عند الله أتقاكم". الإمام علي يمنح هذا المفهوم أبعادا دلالية عميقة، فيصف التقوى بأنها حصن حصين يحمي الإنسان من مزالق الهوى، وهي مفتاح الصلاح في الدنيا والآخرة(**الصالح، 1967، 175**). الحضور الدلالي هنا يبرز في كيفية تحويل التقوى من مجرد شعور قلبي إلى رقابة ذاتية صارمة تحكم علاقة الإنسان بنفسه وبالآخرين وبالخالق. إن الإمام يستلهم من القرآن أوصاف المتقين ليرسم صورة حية للمؤمن الذي يسعى للكمال، فنراه في "خطبة المتقين" يحلل صفاتهم النفسية والبدنية بأسلوب يعتمد كليا على المرجعية القرآنية. إن استخدام مفردات مثل "الخشوع"، "الإخبات"، "الصبر"، "الشكر" يعكس ذوبان لغة الإمام في لغة الوحي، حيث تصبح هذه المفردات أدوات تربوية لتشذيب النفس البشرية(**عبده، 1944، 54**). إن الحضور الدلالي للقيم الأخلاقية في النهج يركز أيضا على قضية "الصدق" ومحاربة "النفاق"، مستشهدا بالآيات التي فضحت صفات المنافقين وحذرت من سوء عاقبتهم. الإمام يبين أن الأخلاق في الإسلام ليست عبارة عن طقوس شكلية، بل هي جوهر الإيمان وثمرته الطبيعية، وهو ما أكد عليه القرآن في قوله "ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله". هذا الربط بين العقيدة والأخلاق هو من أهم وجوه الحضور الدلالي في نهج البلاغة، حيث يرى الإمام أن أي انحراف أخلاقي هو في حقيقته ضعف في اليقين الديني. كما يحضر القرآن دلاليا في الحث على "التواضع" ونبذ "الكبر"، مستحضرا قصص الأمم السابقة التي أهلكها غرورها وعصيانها لأوامر الله. إن الإمام يوظف السنن التاريخية القرآنية ليعزز القيمة التربوية في نفوس أصحابه، مبينا أن دوام النعم رهين بالشكر والاستقامة، وزوالها مرتبط بالظلم والبطر. إن هذا التمازج الدلالي يجعل من خطب النهج

منهجا تربويا متكاملا يخاطب الفطرة الإنسانية ويعيد صياغتها وفق الضوابط الإلهية الرفيعة(**ابي الحديد، 1959، 120**)

.

يستمر الحضور الدلالي في المطلب الثاني بمعالجة قضية "الزهد" في الدنيا، وهو مفهوم قرآني أسيء فهمه في كثير من الأحيان، لكن الإمام علي أعاده إلى نصابه الصحيح مستمدا دلالاته من الكتاب العزيز. القرآن الكريم يحذر من الركون إلى الحياة الدنيا وزخرفها في آيات كثيرة مثل قوله "وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور"، وهذا الحضور الدلالي يشكل العمود الفقري للعديد من خطب الزهد في نهج البلاغة. الإمام لا يدعو إلى ترك العمل أو اعتزال الحياة، بل يدعو إلى عدم جعل الدنيا غاية في حد ذاتها، بل وسيلة للآخرة(**المطهري، 1985، 192**). الحضور الدلالي يبرز في وصف الدنيا بأنها "دار ممر لا دار مقر"، وهو شرح بليغ للمفهوم القرآني عن عارضة الحياة الدنيا. إن الإمام يستخدم الأمثال القرآنية لبيان سرعة زوال الدنيا وتقلب أحوالها، فيصورها كالعشب الذي يهيج ثم يصبح هشيما تذروه الرياح، وهي صورة مستعارة مباشرة من النص القرآني. إن هذا النوع من الحضور الدلالي يهدف إلى بناء شخصية متوازنة تملك الدنيا ولا تملكها الدنيا، وتتحرك في الحياة بمسؤولية وإخلاص دون أن تفتنها الماديات. كما يبرز الحضور الدلالي في التأكيد على قيمة "العدل" كقيمة أخلاقية واجتماعية عليا، فالإمام يرى أن العدل هو أساس الملك وهو الميزان الذي وضعه الله بين العباد، وهو ما يتطابق مع قوله تعالى "ووضع الميزان ألا تطغوا في الميزان". إن العدالة في فكر الإمام هي ترجمة عملية للأمانة التي عرضت على السماوات والأرض فأبين أن يحملنها وحملها الإنسان(**العقاد، 1952، 95**). إن الخطاب العلوي يربط دلاليا بين الظلم وبين فساد الأرض وهلاك الحرث والنسل، مستشهدا بمصائر الطغاة كما عرضها القرآن الكريم. إن الحضور الدلالي للقيم الأخلاقية في النهج يتسع ليشمل "حقوق الضعفاء" و"رعاية اليتامى والمساكين"، وهي موضوعات احتلت مساحة واسعة في التشريع القرآني. الإمام يوصي بهؤلاء الفئات بأسلوب يستحضر عظمة الأجر الأخروي والوعيد الشديد لمن يضيع حقوقهم، مما يجعل من خطبه دستورا أخلاقيا وإنسانيا لا ينفصل عن روح الوحي. إن هذا التماسك بين القيمة الأخلاقية في النهج وأصلها في القرآن يعطي للنص العلوي صبغته القدسية وقدرته على النفاذ إلى أعماق الضمير الإنساني(**الخطيب، 1988، 114**).

في هذه الصفحة نتناول الحضور الدلالي لمبدأ "الصبر والمصابرة" في نهج البلاغة، وكيف وظف الإمام علي هذا المفهوم القرآني لتثبيت المؤمنين وتربيتهم على مواجهة التحديات. القرآن الكريم جعل الصبر قرينا للصلاة وقرينا للعمل الصالح في آيات لا تحصى، مثل قوله "واستعينوا بالصبر والصلاة". هذا الحضور الدلالي يتجلى في وصف الإمام للصبر بأنه من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، وهي استعارة دلالية توضح مركزية هذه القيمة في بناء الشخصية الإسلامية. الإمام يقسم الصبر وفق الرؤية القرآنية إلى صبر على الطاعة، وصبر عن المعصية، وصبر على البلاء، مبينا أن لكل نوع منهما أجره ومنزلته عند الله. الحضور الدلالي هنا يبرز في ربط الصبر باليقين، فالمؤمن لا يصبر إلا لأنه يوقن بحسن العاقبة وبوعد الله الذي لا يخلف، وهو ما نادى به القرآن في قوله "وبشر الصابرين"(**مغنية، 1972، 88**). إن الإمام يستخدم الدلالة القرآنية ليعالج حالات اليأس والقنوط التي قد تصيب الناس في أوقات المحن والحروب، مذكرا إياهم بأن مع العسر يسرا، وأن نصر الله قريب من المحسنين. كما يبرز الحضور الدلالي في قيمة "العفو والصفح"، حيث يحث الإمام على التجاوز عند المقدرة، مستحضرا قوله تعالى "وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم". الإمام يبين أن العفو هو زكاة الظفر، وأنه من شيم الكرام الذين استضاؤوا بنور القرآن(**شبر، 1990، 210**)

إن هذا الحضور الدلالي للقيم التربوية يسعى إلى خلق مجتمع متراحم متواد، يشد بعضه بعضا كالبنيان المرصوص. إن الإمام يركز أيضا على "أدب الحوار" و"حرمة الكلمة"، منطلقا من الدلالة القرآنية التي تشبه الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة والكلمة الخبيثة بالشجرة الخبيثة. نجد في خطبه توجيها للسان نحو الذكر والقول السديد، وتحذيرا من الغيبة والنميمة والسب، وهو ما يتوافق تماما مع المنهج الأخلاقي للقرآن. إن هذا المستوى من الحضور الدلالي يجعل من نهج البلاغة مدرسة لغوية وأخلاقية في آن واحد، حيث يتعلم المرء كيف يزن كلامه بميزان الشرع والعقل، وكيف يحول مفاهيم القرآن إلى واقع معاش يفيض خيرا وبركة على المجتمع(**البحراني، 1984، 156**).

يختتم هذا المطلب بالحديث عن الحضور الدلالي لقيم "الأمانة والوفاء بالعهد" في نهج البلاغة، وهي من القيم التي أكد عليها القرآن الكريم واعتبرها من صفات المؤمنين المفلحين "والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون". الإمام علي في خطبه وكتبه لعماله يحول هذه الدلالة إلى مسؤولية قانونية وأخلاقية صارمة، فالمسؤولية في نظره هي أمانة يسأل عنها الإنسان يوم القيامة، وليست مغنما ينتهزه. الحضور الدلالي هنا يبرز في التحذير من خيانة الأمانة، سواء كانت أمانة الكلمة أو أمانة المال العام أو أمانة الحكم، مستشهدا بالوعيد القرآني للخائنين. إن الإمام يربط دلاليا بين الوفاء بالعهد وبين صدق الإيمان، مبينا أن الغدر هو سمة النفاق وبداية السقوط الأخلاقي. كما يبرز الحضور الدلالي في الحث على "العمل

الصالح" والتنافس في الخيرات، وهو ما دعا إليه القرآن في قوله "فاستبقوا الخيرات". الإمام يبين أن العمر فرصة لن تتكرر، وأن الإنسان يجب أن يبادر بالعمل قبل انقطاع الأجل، مستحضرا الآيات التي تصف حسرة المفرطين يوم القيامة. هذا الحضور الدلالي التربوي يهدف إلى تفعيل دور الإنسان في الحياة وتحويله من عنصر خامل إلى عنصر منتج يسعى لعمارة الأرض وفق منهج الله. إن الإمام يستخدم مفردات قرآنية مثل "الحرث"، "الزرع"، "الحصاد" ليشير إلى العلاقة بين الدنيا والآخرة، مما يعطي للعمل قيمة عبادية لا تنفصل عن الصلاة والصيام. إن هذا المطلب يخلص إلى أن الحضور الدلالي للقيم القرآنية في نهج البلاغة قد صاغ نظرية أخلاقية متكاملة تجمع بين الفردية والاجتماعية، وبين المادية والروحية. إن الإمام علي لم يخرج في أي من وصاياه التربوية عن الإطار الذي رسمه القرآن، بل كان يغوص في أعماق النص الإلهي ليستخرج منه ما يصلح حال البشر في كل زمان ومكان. إن قوة التأثير في كلام الإمام تأتي من هذا الاندماج الكامل مع الوحي، مما جعل كلامه دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق، بوصفه المترجم الأول لمقاصد الأخلاق القرآنية(**ضيف، 1960، 162**)، إن هذا المطلب يثبت أن النهج هو المرآة الحقيقية التي عكست أخلاق القرآن وطبقتها في أدق تفاصيل الحياة(**السويطي، 1973، 240**)، إن الترابط الوثيق بين الدلالة القرآنية والبيان العلوي في الجانب الأخلاقي يمثل قمة الوعي الديني الذي يسعى الإسلام لغرسه في نفوس أتباعه(**الزمخشري، 1987، 72**).

المطلب الثالث: الحضور الدلالي للتشريع والسنن التاريخية

يتجلى الحضور الدلالي للقرآن الكريم في نهج البلاغة من خلال استحضار السنن الإلهية التي تحكم حركة التاريخ والمجتمعات البشري. إن الإمام علي عليه السلام لم ينظر إلى التاريخ بوصفه مجموعة من الأحداث العابرة، بل تعامل معه وفق المنظور القرآني الذي يرى في التاريخ مختبرا للسنن الثابتة التي لا تتبدل ولا تتحول، مصداقا لقوله تعالى "ولن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا"(**الطباطبائي، 1971، 210**). نجد في خطب النهج تركيزا مكثفا على دلالة "الاستخلاف" في الأرض، وكيف أن الله يورث الأرض من يشاء من عباده الصالحين، وهي دلالة قرآنية أصيلة تحضر في خطابات الإمام السياسية والتربوية لتوجيه الأمة نحو فهم أسباب القوة والضعف. إن الإمام يربط دلاليا بين بقاء الدول وبين إقامة العدل، مستشهدا بمصائر الأمم التي طغت وبغت فكان عاقبة أمرها خسرا. الحضور الدلالي هنا يبرز في كيفية توظيف القصص القرآني لا كمادة حكواتية، بل كمنهج استدلالي لبيان أن الظلم هو مؤذن بخراب العمران، وهو ما أكد عليه القرآن في قوله "وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا"(**مغنية، 1972، 145**). إن الإمام في خطبته القاصعة، على سبيل المثال، يغوص في أعماق التاريخ البشري مستلهما العبر من قصة آدم وإبليس، ليوضح دلالة الكبر وأثره في سقوط الأمم والقيادات. هذا الربط الدلالي بين التشريع الإلهي والواقع التاريخي يجعل من نهج البلاغة وثيقة فلسفية وتاريخية رفيعة المستوى، حيث تتحول الآية القرآنية إلى قانون اجتماعي يفسر صعود الحضارات وسقوطها. كما يحضر القرآن دلاليا في تبيان سنن الابتلاء والتمكين، حيث يوضح الإمام أن الله يبتلي عباده ليميز الخبيث من الطيب، وهو ما ورد في قوله تعالى "أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون". إن هذا الحضور الدلالي يسعى إلى بناء وعي جمعي يدرك أن النصر ليس مجرد ضربة حظ، بل هو نتيجة لالتزام السنن الإلهية في الصبر والجهاد والإخلاص. إن المتأمل في نصوص النهج يجد أن الإمام يعيد صياغة المفاهيم التشريعية المتعلقة بالحكم والسياسة المالية وفق الضوابط القرآنية الصارمة، محذرا من الانحراف عن جادة الصواب التي رسمها الوحي، ومبينا أن أي خروج عن هذه السنن سيؤدي بالضرورة إلى التيه والشتات(**الصالح، 1967، 212**).

يستمر الحضور الدلالي في المطلب الثالث عبر تحليل "سنة الاستبدال" و"سنة التدافع" كما عرضها الإمام علي في نهج البلاغة استنادا إلى الأصول القرآنية. القرآن الكريم يقرر حقيقة تاريخية مفادها أن الله يدافع عن الذين آمنوا، وأنه لو لا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض، وهذه الدلالة تحضر بقوة في خطب الإمام التي تناولت الصراعات الداخلية والحروب التي خاضها. الإمام يوضح أن الصراع بين الحق والباطل هو سنة ماضية في الخلق، وأن دور المؤمن هو الوقوف في جبهة الحق مهما قل أتباعه، مستلهما دلالة قوله تعالى "كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله". الحضور الدلالي هنا يتجاوز مجرد الاستشهاد بالآية إلى بناء استراتيجية مواجهة قائمة على اليقين بالوعد الإلهي. إن الإمام علي يحلل أسباب السقوط الأخلاقي للأمم السابقة مثل عاد وثمود وقوم فرعون، مبينا أن "الترف" و"البطر" كانا السبب الرئيس في هلاكهم، وهو ما ينسجم مع الدلالة القرآنية "وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها"(**الخطيب، 1988، 145**).

إن هذا النوع من الحضور الدلالي يهدف إلى تحذير المجتمع المسلم من الانزلاق نحو حياة الترف التي تضعف الهمم وتفسد الضمائر. كما يبرز الحضور الدلالي في الجانب التشريعي المتعلق بـ "حقوق الرعية"، حيث يستلهم الإمام من القرآن مبدأ المشورة والعدل والمساواة أمام القانون الإلهي. نجد في رسائله لعماله، وخصوصا عهده لمالك الأشتر، لغة

قرآنية نابضة بالحرص على الضعفاء والمساكين، معتبرا أن إهمالهم هو محاربة لله ولرسوله(**عبده، 1944، 192**)، إن التشريع في نهج البلاغة ليس مجرد نصوص قانونية جافة، بل هو روح قرآنية تسري في مفاصل الدولة لتحقيق غاية الوجود وهي العبودية لله من خلال الخدمة العامة. إن الإمام يربط دلاليا بين "الوفاء بالعهود" وبين استقرار النظم الاجتماعية، مستحضرا قوله تعالى "وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولا". إن هذا التمازج بين التشريع السماوي والتطبيق العلوي يعطي للنهج قوته الإلزامية وتأثيره الروحي، حيث يشعر المخاطب بأنه أمام خطاب إلهي مباشر تمت صياغته بلسان بشري فصيح يدرك دقائق النفس ومعضلات السياسة(**الرازي، 1999، 55**).

في هذه الصفحة، نركز على الحضور الدلالي لمفهوم "الحق والباطل" كقانون تشريعي وتاريخي في نهج البلاغة، وكيف استمد الإمام علي هذا المفهوم من المنظور القرآني الذي يرى أن "الحق قد جاء وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا". الإمام علي في أغلب خطبه يضع السامع أمام خيارين لا ثالث لهما: طريق الحق المتمثل في اتباع الوحي، وطريق الباطل المتمثل في اتباع الهوى والشيطان. الحضور الدلالي هنا يبرز في وصف الحق بأنه ثقيل مريء، والباطل بأنه خفيف وبيء، وهي أوصاف تعكس عمق الفهم للمقاصد القرآنية في التربية والتشريع. إن الإمام يستخدم الدلالة القرآنية ليبين أن الغلبة في النهاية للحق وإن طال الزمن، وهو ما يعزز روح المقاومة والصمود لدى المؤمنين. كما يحضر القرآن دلاليا في تشريعات "الجهاد" و"الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"، حيث يرى الإمام أن هذه الشعائر هي صمام الأمان لبقاء المجتمع المسلم قويا ومتماسكا. إن الإمام يستلهم من آيات الجهاد معاني التضحية والفداء، محذرا من أن ترك الجهاد يؤدي إلى الذل والضياع، وهو تصديق لدلالة قوله تعالى "إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم". إن الحضور الدلالي هنا يعمل على تحويل النص القرآني إلى حافز حركي يدفع الناس نحو تحمل مسؤولياتهم التاريخية. كما يتجلى الحضور الدلالي في قضية "المال العام"، حيث يطبق الإمام التشريع القرآني في توزيع الفيء والصدقات، رافضا أي تمييز طبقي أو قبلي، مستشهدا بمبدأ "كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم".

يتناول هذا القسم الحضور الدلالي لـ "سنة هلاك الأمم" والتحذير من مغبة التفرق والنزاع، وهو موضوع قرآني أصيل حضر بقوة في نهج البلاغة لمواجهة الفتن التي عصفت بالأمة في تلك الحقبة. الإمام علي يستحضر قوله تعالى "ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم" ليعيد صياغة الدلالة في سياق خطبه التي تدعو إلى الوحدة والاعتصام بحبل الله(**المطهري، 1985، 240**)، الحضور الدلالي هنا يبرز في تبيان أن الفشل ليس قدرا محتوما، بل هو نتيجة طبيعية لمخالفة السنن التشريعية في التآلف والتراحم. الإمام يحلل دلاليا معنى "الفرقة" بأنها مدخل الشيطان وهادم الأوطان، مستشهدا بما حدث للأمم السابقة التي تفرقت من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم. إن هذا التوظيف للدلالة القرآنية يهدف إلى خلق وعي سياسي ناضج يدرك المخاطر المحيطة بكيان الأمة. كما يحضر القرآن دلاليا في تشريع "القضاء والعدل"، حيث يوصي الإمام القضاة بالوقوف عند الشبهات واعتماد البينة كما أمر القرآن، محذرا من الحكم بالهوى أو الرشوة(**شبر، 1990، 332**)، إن الإمام يرى أن القاضي هو لسان العدل الإلهي في الأرض، ويجب أن يستمد أحكامه من نور الكتاب والسنة. الحضور الدلالي هنا يحول القضاء من وظيفة إدارية إلى مقام عبادي عظيم. كما يتجلى الحضور الدلالي في وصف "طبيعة الإنسان" وتقلباته بين الشدة والرخاء، وهو ما أشار إليه القرآن في سورة الفجر وغيرها. الإمام يستخدم هذه الدلالات ليربي الناس على الاستقامة في كل الأحوال، مبينا أن الدنيا دار بلاء واختبار، وأن الفلاح مرتبط بالثبات على المبدأ التشريعي. إن نهج البلاغة في هذا الجانب يمثل شرحا نفسيا واجتماعيا للآيات التي تتناول السلوك البشري في مواجهة التحديات. إن الإمام يخلص إلى أن السنن التاريخية والتشريعية هي قوانين صارمة لا تحابي أحدا، وأن الارتباط بالله هو الضمانة الوحيدة للنجاة من عواصف الفتن. إن هذا المطلب يثبت أن الحضور الدلالي للقرآن في النهج قد غطى كافة جوانب الحركة التاريخية والتشريعية، مما جعل من كلام الإمام بوصلة هادية للأجيال في فهم كيفية التعامل مع الواقع المتغير وفق الثوابت الإلهية الراسخة التي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها(**البحراني، 1984، 120**).

نختتم المبحث الأول بالحديث عن الحضور الدلالي لمفهوم "المسؤولية الفردية والجماعية" في نهج البلاغة، وهو المبدأ القرآني الذي يقرر أن "كل نفس بما كسبت رهينة" وأن "ليس للإنسان إلا ما سعى". الإمام علي يعيد إنتاج هذه الدلالة في خطبه ليواجه روح التواكل والهروب من المسؤولية التي قد تصيب المجتمعات في أوقات الأزمات. الحضور الدلالي هنا يبرز في التأكيد على أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، وهي آية قرآنية تعد مفتاح التغيير الاجتماعي في فكر الإمام. إن الإمام يربط دلاليا بين العمل الفردي وبين مصير الأمة، مبينا أن صلاح المجموع يبدأ من صلاح الأفراد والتزامهم بالتشريع. كما يحضر القرآن دلاليا في وصف "اليوم الآخر" كمنتهى للعدالة التاريخية، حيث يعرض الإمام صور الحساب والجزاء بأسلوب يستمد قوته التأثيرية من الدلالات القرآنية المرهبة والمنعمة. إن الهدف من هذا الحضور هو خلق وازع داخلي يمنع الإنسان من الظلم ويحفزه على فعل الخير، بعيدا عن سلطة الرقابة الخارجية. إن الإمام

يصور القيامة كحدث كوني ينهي صراع الحق والباطل، ويضع كل إنسان أمام حصاد عمله، وهو تصديق لقوله تعالى "يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا". إن هذا الاندماج الدلالي يجعل من نهج البلاغة نصا مفتوحا على آفاق الخلود، لأنه يستمد معانيه من معين الوحي الذي لا ينضب. إن المبحث الأول بجوانبه الثلاثة (التوحيد، الأخلاق، التشريع والتاريخ) أثبت أن الحضور الدلالي للقرآن الكريم في نهج البلاغة هو حضور شمولي وعضوي، وليس مجرد زينة لفظية. إن الإمام علي قد انطلق من القرآن ليفهم الوجود، وعاد بالناس إلى القرآن ليفهموا حياتهم ومستقبلهم. إن التماسك الدلالي بين النصين يعكس وحدة المصدر ووحدة الغاية، ويجعل من نهج البلاغة المفسر الحقيقي والناطق الرسمي باسم القرآن في ميادين العمل والحياة. إن هذا الحضور قد منح الخطب العلوية طاقة إقناعية وجمالية هائلة، جعلتها تتربع على عرش البلاغة العربية وتلهم المفكرين والأدباء عبر العصور، بوصفها النموذج الأرقى لتفاعل العقل البشري المبدع مع الوحي الإلهي المقدس(**ضيف، 1960، 188**)، إن هذا المطلب يغلق دائرة الحضور الدلالي ليفتح الباب أمام المبحث الثاني الذي يتناول الحضور البلاغي والجمالي(**السيوطي، 1973، 301**)، إن هذا البحث يمثل خطوة نحو تأصيل العلاقة بين الكتابين اللذين لا يفترقان حتى يردا على الحوض(**الزمجشري، 1987، 112**).

المبحث الثاني: الحضور البلاغي للقرآن الكريم في نهج البلاغة

المطلب الأول: التناص والاتساق النظمي

يعتبر الحضور البلاغي للقرآن الكريم في نهج البلاغة من أعمق الظواهر الأسلوبية التي استوقفت علماء اللغة والبيان، حيث يمثل التناص القرآني في كلام الإمام علي عليه السلام حالة من الذوبان الكامل والاندماج العضوي بين نص بشري في قمة الفصاحة ونص إلهي يمثل ذروة الإعجاز،إن التناص هنا لا يقف عند حدود الاقتباس الحرفي الذي يستدعي فيه المتكلم آية قرآنية ليعزز بها قوله، بل يتجاوز ذلك إلى ما يسمى بالتناص الامتصاصي، حيث تمتص لغة الإمام المفردة والتركيب والروح القرآنية وتعيد إنتاجها في سياق خطابي جديد ينسجم تماما مع غرض الخطبة(**الجاحظ، 1968، 202**)، إن المتأمل في نهج البلاغة يدرك أن الإمام كان يعيش القرآن فكرا ووجدانا، مما جعل نظمه الكلامي يحاكي النظم القرآني في جزالته وقوته وتماسكه. الاتساق النظمي في النهج يتجلى في وحدة البناء بين الجمل، حيث نجد أن الانتقال من كلام الإمام إلى الآية القرآنية المستشهد بها يتم بسلاسة فائقة لا يشعر معها السامع بأي فجوة أسلوبية أو خلل في النبرة الموسيقية. هذا النوع من الاتساق يدل على أن ملكة الإمام اللغوية قد صقلت في مدرسة الوحي، فأصبح بيانه صدى بليغا لبيان الله. إن الحضور البلاغي يظهر أيضا في قدرة الإمام على توظيف "الإحالة القرآنية" لتعميق المعنى، فبمجرد استخدام مفردة قرآنية معينة، ينفتح ذهن السامع على كامل السياق القرآني المرتبط بتلك المفردة، مما يمنح الخطبة طاقة إقناعية هائلة تتجاوز حدود المنطق العقلي إلى آفاق التأثير الروحي(**الصالح، 1967، 310**)، إن التناص في النهج يتخذ أشكالا متعددة، منها التناص المباشر الذي يذكر فيه الإمام الآية كما هي، ومنها التناص الخفي الذي يضمن فيه الإمام معاني الآية في ثنايا كلامه بأسلوب "التلميح"، مما يضفي على النص هيبة وجلالا. إن هذا الالتزام بالنهج القرآني في البناء البلاغي لم يكن مجرد تقليد أسلوبي، بل كان ضرورة تقتضيها طبيعة الرسالة التي كان يحملها الإمام، وهي رسالة التبيان والتوجيه وفق المعايير الإلهية. إن الاتساق النظمي في نهج البلاغة يمثل قمة التفاعل بين النصين، حيث يصبح كلام الإمام هو الشرح البياني والجمالي للقرآن الكريم، مما يجعل من كل خطبة لوحة فنية تجمع بين أصالة المصدر وإبداع التطبيق(**ضيف،1960، 152**).

يستمر الحضور البلاغي في المطلب الأول من خلال تحليل "البنية الإيقاعية" وعلاقتها بالاتساق النظمي القرآني. إن الإمام علي عليه السلام وظف السجع والازدواج بأسلوب لا يتنافى مع عفوية الكلام وقوته، محاكيا بذلك الفواصل القرآنية التي تمنح النص جرسًا موسيقيًا يؤثر في النفوس. التناص هنا ليس في المفردة فقط، بل في "الموسيقى الداخلية" للعبارة، حيث نجد أن جمل الإمام تنتهي غالبا بنغمات تذكر المستمع بنهايات السور القرآنية، مما يخلق حالة من الاتصال الروحي بين الخطبة والوحي. هذا الاتساق النظمي يعمل على تثبيت المعاني في القلوب، لأن الأذن التي اعتادت على سماع القرآن تجد في كلام الإمام ألفة وانسجاما. إن الحضور البلاغي يتجلى أيضا في فن "الاختصار والإيجاز" الذي هو سمة قرآنية بارزة، فالإمام يمتلك قدرة فائقة على حشد المعاني الكثيرة في ألفاظ قليلة، وهو ما يعرف بـ "جوامع الكلم"(**أبي الحديد، 24،1959**)، هذا الإيجاز العلوي هو انعكاس للإعجاز القرآني الذي يعجز البشر عن محاكاته. إن التناص في نهج البلاغة يمتد ليشمل "بناء الصورة الكلية"، حيث نجد أن الخطبة تبنى وفق نسق هندسي دقيق يبدأ بالتحميد والثناء الذي يستلهم مفرداته من فواتح السور، ثم ينتقل إلى صلب الموضوع بأسلوب يجمع بين الترغيب والترهيب، وهو المنهج القرآني في الدعوة والتغيير(**عبده، 1944، 102**)، إن الاتساق النظمي يظهر أيضا في توظيف "الاستفهامات الإنكارية" و"النداءات" التي تحاكي أسلوب القرآن في مخاطبة العقل والوجدان. الإمام ينادي "أيها الناس"

بنبرة تستحضر جلال النداء الإلهي، مما يمنح خطابه سلطة معنوية لا تضاهى. إن هذا الحضور البلاغي المكثف يجعل من نهج البلاغة مدرسة تعليمية تعلم الناس ليس فقط أصول الدين، بل وأصول الفصاحة والبيان. إن ذوبان النص العلوي في النص القرآني قد وصل إلى درجة يصعب فيها أحيانا التمييز بين كلام الإمام وبين الآيات المضمنة لولا المعرفة المسبقة بالنصوص، وهذا هو أعلى مستويات التناص البلاغي الذي يجعل من الكلام وحدة واحدة لا تتجزأ. إن هذا المطلب يؤكد أن بلاغة الإمام علي هي الثمرة الطبيعية لارتباطه الوجودي بالقرآن، مما جعل كلامه يكتسي حلة القداسة والجمال في آن واحد، ويصبح مرجعا لكل من أراد أن يفهم أسرار البيان العربي الرفيع(**السيوطي، 1973، 195**) .

ننتقل الآن إلى تحليل "الاتساق التركيبي" وكيفية استلهام الإمام علي لأساليب القصر والحصر والتوكيد من القرآن الكريم. إن الحضور البلاغي في هذا الجانب يظهر في استخدام الإمام لأدوات التوكيد مثل "إن" و"قد" و"اللام" الموطئة للقسم بأسلوب يضاهي الدقة القرآنية في تثبيت الحقائق. التناص هنا يتخذ طابعا "نحويا بيانيا"، حيث نجد أن الجملة في نهج البلاغة تخضع لذات القوانين الجمالية التي تخضع لها الجملة القرآنية من حيث التقديم والتأخير لغرض التخصيص والأهمية(**العقاد، 1952، 132**). إن الإمام علي يعيد صياغة الأساليب القرآنية في مدح المؤمنين وذم الكافرين بأساليب مبتكرة تحافظ على الروح الأصلية للنص الإلهي. الاتساق النظمي يتجلى أيضا في "وحدة الموضوع" داخل الخطب الطويلة، حيث نجد خيطا دلاليا وبلاغيا يربط بين البداية والنهاية، وهو ما يسمى في علوم القرآن بـ "المناسبة". الإمام يراعي بدقة العلاقة بين الكلمة وما قبلها وما بعدها، تماما كما يراعي القرآن وضع الكلمة في موضعها الذي لا يسد مسدها غيرها. الحضور البلاغي يتضح أيضا في استخدام "الالتفات" وهو الانتقال من الغيبة إلى الخطاب أو العكس، وهو فن قرآني برع فيه الإمام علي لتنبيه السامع وتجديد نشاطه الذهني(**الخطيب، 1988، 201**)، إن هذا التناص التركيبي يعطي لخطب النهج قوة تماسك تجعلها عصية على التحريف أو التقليد، لأن كل كلمة فيها موضوعة بميزان الذهب. إن الإمام يوظف أيضا "التكرار" لغرض التقرير والتأكيد، محاكيا تكرار القصص والآيات في القرآن لتثبيت العبرة في النفوس. إن هذا المطلب يخلص إلى أن نهج البلاغة هو الميدان الذي تجلت فيه عبقرية اللغة العربية في أرقى صورها، بفضل استنادها إلى المعين القرآني. إن الاتساق النظمي والتناص البلاغي في النهج ليسا مجرد محسنات لفظية، بل هما انعكاس لعمق الإيمان بقدسية الكلمة ودورها في بناء الإنسان. إن الإمام علي استطاع أن يطوع اللغة لخدمة المعنى القرآني بأسلوب يجمع بين الجزالة والسهولة، وبين الفخامة والوضوح، مما جعل من كلامه نصا عابرا للزمان والمكان، يستمد خلوده من خلود القرآن الكريم الذي هو أصله ومنبعه(**الجرجاني، 1982، 45**) .

المطلب الثاني: الصور البيانية والمجاز

يمثل الحضور البلاغي في جانب "التصوير البياني" واحدا من أبرز ملامح الإبداع في نهج البلاغة، حيث استلهم الإمام علي أدواته التصويرية من المعين القرآني الذي يعتمد على تجسيد المعاني المجردة وتحويلها إلى صور حسية ملموسة تهز الوجدان. إن الاستعارة في كلام الإمام ليست مجرد تزيين للكلام، بل هي أداة معرفية تهدف إلى تقريب الحقائق الغيبية والمعقدة إلى أذهان السامعين(المطهري، 1985، 260). التناص هنا يبرز في استحضار "الصور القرآنية" المتعلقة بالموت والبعث والجنة والنار، وإعادة رسمها بأسلوب علوي يفيض بالحركة والحياة. نجد في خطب الإمام وصفا للدنيا بأنها "أفعى لين مسها قاتل سمها"، وهي صورة تستمد قوتها من المنهج القرآني في استخدام الأمثال لبيان حقيقة الوجود. إن الحضور البلاغي يتجلى في "التشبيهات التمثيلية" التي يحشد فيها الإمام مجموعة من العناصر ليصور حالة معينة، محاكيا التشبيهات القرآنية مثل "مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا". الإمام يوظف هذا النوع من التشبيه ليفضح زيف المنافقين أو ليبين وهن الباطل، مستخدما مفردات حسية تجعل السامع يرى المعنى بعينه قبل أن يسمعه بأذنه. كما يبرز الحضور في "الاستعارة المكنية" التي يضفي فيها الإمام صفات الأحياء على الجمادات، استلهاما من قوله تعالى "والصبح إذا تنفس"(**مغنية، 1972، 312**). نجد في النهج أن الرياح "تتطاول" والغيوم "تحمل" والأرض "تتحدث"، مما يمنح النص حيوية درامية تجذب المتلقي وتجعله جزءا من المشهد. إن هذا التصوير البياني ليس للترف الأدبي، بل هو لخدمة الغرض التربوي والديني، فكل صورة يرسمها الإمام تحمل في طياتها حكمة قرآنية أو موعظة إيمانية. إن التناص في الصور البيانية يتعدى الشكل إلى المضمون، حيث يتبنى الإمام "القيم الجمالية القرآنية" التي تزاوج بين الجمال والجلال، وبين الرقة والقوة. إن بلاغة الصورة في النهج تعتمد على "الدقة في الوصف" و"الاختيار الموفق للمفردة"، مما يجعل الصورة ثابتة في الذهن لا تمحوها الأيام. إن هذا المطلب يبين كيف استطاع الإمام علي أن يحول اللغة إلى ريشة فنان يبدع بها أجمل اللوحات الإيمانية، مستمدا ألوانه وظلاله من نور الوحي الإلهي، مما جعل من نهج البلاغة معرضا فنيا للقيم الروحية والأخلاقية(**البحراني، 1984، 180**).

يستمر الحضور البلاغي في المطلب الثاني بتحليل "المجاز المرسل والكناية" كأدوات استلهمها الإمام علي من الأسلوب القرآني لتعميق الدلالة وتوسيع آفاق المعنى. الكناية في نهج البلاغة تعد من أرقى الفنون التي استخدمها الإمام للتعبير عن المعاني التي يستحي من ذكرها صراحة أو لتعظيم مقام معين، وهو منهج قرآني خالص كما في قوله تعالى "أو جاء أحد منكم من الغائط". الإمام يوظف الكناية في وصف صفات المؤمنين وأحوال العباد بأسلوب يجمع بين العفة والجزالة. أما "المجاز المرسل" فيحضر بقوة في كلام الإمام من خلال إطلاق الكل وإرادة الجزء أو العكس، ومن خلال استخدام "السبب والمسبب"، مما يمنح العبارة مرونة وقدرة على استيعاب معان متعددة في آن واحد(**الزمخشري، 1987، 92).** التناص هنا يكمن في "المنطق المجازي" الذي يتبعه الإمام، حيث يجعل من اللغة كائنا حيا يتمدد وينقبض وفق مقتضيات الحال. إن الحضور البلاغي يتجلى أيضا في "التشخيص" حيث يحول الإمام المفاهيم المجردة مثل "الموت" و"الزمان" و"الفتنة" إلى شخوص تتحرك وتفعل، مستلهما ذلك من الصور القرآنية التي تجسد العذاب أو الرحمة. إن هذا النوع من المجاز يهدف إلى إثارة الخيال وتعميق التأثير النفسي في السامع، مما يدفعه نحو التأمل والتفكير. إن الإمام علي يبرع في استخدام "الكناية عن صفة" ليبين عظمة الخالق أو خسة الدنيا، بأسلوب يبتعد عن المباشرة المملة ويقترب من الإشارة الذكية التي تفتح للذهن آفاقا واسعة. إن التناص في الصور البيانية يجعل من نهج البلاغة نصا "عابرًا للأجناس الأدبية"، فهو يجمع بين الخطابة والشعر والنثر الفلسفي في بوتقة واحدة بفضل الروح القرآنية المهيمنة عليه(**الرضي، 1986، 144**). إن استخدام المجاز في النهج ليس هروبا من الواقع، بل هو غوص في أعماقه لكشف الحقائق المستترة، تماما كما يفعل القرآن في كشف حقائق الغيب من خلال الأمثال والمجازات. إن هذا المطلب يخلص إلى أن الحضور البلاغي للصور والمجاز في نهج البلاغة قد صاغ هوية جمالية فريدة لهذا الكتاب، جعلت منه المعين الذي لا ينضب لكل أديب وبليغ، وأثبتت أن الإمام علي هو التلميذ الأوفى لمدرسة الإعجاز البياني التي افتتحها القرآن الكريم بآياته البينات. إن هذا التفاعل البلاغي قد منح كلام الإمام طاقة روحية تجعل القارئ يشعر بأنه أمام نص إلهي الصبغة، بشري الصياغة، إن الصور والمجازات في النهج هي الجسور التي عبرت من خلالها المعاني القرآنية الكبرى إلى عقول وقلوب الأجيال المتعاقبة(**الرازي، 1999، 120**) .

المطلب الثالث: الإيقاع الصوتي والفاصلة

يعتبر الإيقاع الصوتي في نهج البلاغة أحد أبرز ملامح التأثر بالبيان القرآني، حيث انتقل الإمام علي عليه السلام من مجرد استخدام اللغة كوسيلة لنقل المعنى إلى استخدامها ككتلة نغمية تؤثر في المتلقي تأثيرا نفسيا وروحيا عميقا. إن الحضور البلاغي هنا يتجلى في محاكاة "الفواصل القرآنية" التي تنهي الجمل بنسق صوتي معين يترك صدى في الأذن ويهيئ النفس لاستقبال الحقيقة الإيمانية. إن الإيقاع في الخطب العلوية ليس سجعا متكلفا يبحث فيه المتكلم عن القافية على حساب المعنى، بل هو سجع طبيعي يتدفق مع تدفق الفكرة، تماما كما هو الحال في النظم القرآني. الإمام علي وظف التوازن الصوتي بين الجمل القصيرة والطويلة ليخلق حالة من الترقب والرهبة، خاصة في الخطب التي تتناول صفات الله وعظمة الخلق ويوم القيامة. التناص الإيقاعي يبرز في اختيار حروف المد واللين في مواضع الرقة والرجاء، وحروف الشدة والاستعلاء في مواضع التحذير والوعيد، وهو نهج قرآني أصيل يربط بين الصوت والدلالة. إن الحضور البلاغي للصوت في النهج يعمل على تحويل النص من مادة مقروءة إلى تجربة سماعية حية، حيث يشعر السامع بجرس الكلمات يحاكي وقع الآيات البينات. إن الإمام يستخدم "الازدواج" و"التقسيم" ببراعة تجعل الكلام يسير في مسارات نغمية منتظمة، مما يساعد على حفظ النص واستحضاره في الذاكرة. إن هذا المطلب يبين أن الإمام لم يكن يكتفي ببلاغة الكلمة، بل كان يهتم ببلاغة الصوت التي هي جزء لا يتجزأ من الإعجاز البياني. إن الفواصل في نهج البلاغة تؤدي وظيفة مزدوجة، فهي من جهة تحدد نهاية الفكرة وتفصلها عما بعدها، ومن جهة أخرى تربط بين أجزاء الخطبة برباط موسيقي خفي يمنح النص وحدة موضوعية وجمالية. إن هذا التفاعل الصوتي مع القرآن جعل من كلام الإمام نصا ترتيليا يقرأ بخشوع وتدبر، وأثبت أن اللغة العربية في يد الإمام كانت طيعة قادرة على محاكاة أرقى النماذج الإلهية في التعبير والتأثير. إن الحضور البلاغي للإيقاع يعكس ذوبان الإمام في روح القرآن الكريم، حيث استطاع أن ينقل هيبة الوحي إلى كلامه بأسلوب فريد يجمع بين جلال الربوبية وفصاحة العبودية(**أبي الحديد، 1959، 182**) .

يستمر الحضور البلاغي في المطلب الثالث من خلال تحليل تقنية "الموازنة الصرفية" التي اعتمدها الإمام علي لمحاكاة النظم القرآني في بناء الجمل. الموازنة تعني تساوي الجمل في الوزن الصرفي دون التوافق في الحرف الأخير بالضرورة، وهي ميزة تعطي الكلام تدفقا وانسيابية تجعل المتلقي في حالة اندماج تام مع النص. الإمام يستلهم هذه التقنية من السور القرآنية القصار التي تعتمد على الإيقاع السريع والمركز لإيصال الرسالة. الحضور البلاغي هنا يظهر في استخدام الكلمات المتقاربة في مخارج الحروف، مما يخلق تجانسا صوتيا يطرب الأذن ويشد الانتباه(**عبده، 1944،**

125)، إن التناص الإيقاعي في نهج البلاغة يبرز في "التكرار الموسيقي" لبعض الصيغ الصرفية مثل (فعول) و(فعال)، وهو ما يمنح الخطبة طابعا حماسيا أو وعظيا وفقا للمقام. إن الإمام علي يدرك أن الصوت هو الجسر الأول للوصول إلى القلب، لذا نراه يختار مفرداته بعناية فائقة لتكون متناغمة مع الغرض البلاغي للخطبة. إن الحضور البلاغي للإيقاع يتجلى أيضا في "تعدد الفواصل" داخل المقطع الواحد، حيث ينتقل الإمام من قافية إلى أخرى ببراعة تحافظ على الاتساق العام وتمنع الملل. هذا التنوع الإيقاعي يحاكي الانتقالات القرآنية بين القصص والأحكام والمواعظ، مما يجعل النص العلوي نصا ديناميكيا متجددا. إن الإمام يوظف "السكتات اللطيفة" و"الوقف والابتداء" بأسلوب يضاهي قواعد التجويد، مما يعزز الصبغة القدسية لكلامه(**الخطيب، 1988، 215**).

إن هذا المستوى من الاهتمام بالبنية الصوتية يعكس عمق التأثر بالقرآن الكريم، في هذه الصفحة نتناول الحضور البلاغي لظاهرة "التشاكل الصوتي" وعلاقتها بالبنية الدلالية في نهج البلاغة، وكيف وظف الإمام علي هذا الفن القرآني لتعميق الوقع التأثيري لخطبه. التشاكل الصوتي يقصد به اختيار كلمات تجمعها صفات صوتية مشتركة مثل الهمس أو الجهر أو الاستعلاء لتناسب غرض الكلام. الإمام يستلهم هذا من القرآن الكريم الذي يستخدم حروف الصفير في مواضع العذاب وحروف اللين في مواضع الرحمة. الحضور البلاغي هنا يتضح في وصف الإمام لأهوال القيامة أو شدة الحرب، حيث نجد الكلمات تتصادم بحروفها القوية لترسم مشهدا مرعبا يتناسب مع جلال الموقف، بينما نجد الرقة والسهولة في وصف الجنة وصفات المتقين. التناص هنا "نفسي صوتي"، حيث يصبح الصوت هو المعبر الأول عن الانفعال الإنساني المنسجم مع الإرادة الإلهية(**العقاد، 1952، 154**). الإمام يوظف أيضا "الجناس" بأنواعه المختلفة بأسلوب عفوي يبتعد عن التصنع، محاكيا الجناس القرآني الذي يأتي لتعزيز المعنى وربط الأفكار. إن الحضور البلاغي يتجلى في قدرة الإمام على جعل "الفاصلة" هي المفتاح الذي يغلق به باب المعنى ويفتحه بأسلوب يثير الدهشة. إن الفواصل في نهج البلاغة ليست مجرد نهايات، بل هي "محطات تأملية" تمنح المستمع فرصة لاستيعاب الفكرة قبل الانتقال إلى غيرها، وهو منهج تعليمي تربوي قرآني. إن الإيقاع في النهج يساهم في إبراز "الفصاحة الفطرية" للإمام التي لم تلوثها أعجمية أو تكلف أدبي، مما جعل كلامه ينساب كالماء الزلال. إن التفاعل بين الصوت والمعنى في النهج يعكس وحدة الشخصية العلوية التي لا تفصل بين البيان والعمل، وبين الفن والعقيدة(**السيوطي، 1973، 260**). إن هذا المطلب يؤكد أن بلاغة الإمام علي هي بلاغة شمولية تخاطب الحواس والعقول معا، مستمدة قوتها من المصدر الإلهي الذي جعل للقرآن حلاوة ولطلاوته أثرا لا يقاوم. إن الحضور البلاغي للصوت يمثل قمة التماهي مع النص المعجز، حيث يصبح كلام البشر مرآة تعكس أنوار الوحي في أجمل صورها الإيقاعية والجمالية. إن هذا الالتزام بالنهج القرآني في البناء الصوتي هو الذي منح نهج البلاغة خلوده وقدرته على اختراق القلوب وتجاوز الحواجز الزمانية والمكانية، ليظل منارة لكل باحث عن الحقيقة والجمال في رحاب اللغة العربية(**الجرجاني، 1982، 90**).

يتناول هذا القسم الحضور البلاغي لتقنية "الترديد والرجوع" الإيقاعي في نهج البلاغة، وكيف استلهم الإمام علي هذا النمط من التكرار الفني في القرآن الكريم لترسيخ المفاهيم العقدية والتربوية. الترديد هو تكرار لفظة أو جملة في سياق معين لغرض التوكيد والتنبيه، وهو أسلوب برع فيه القرآن في سورة الرحمن وسورة المرسلات وغيرها. الإمام علي يوظف هذا الترديد بأسلوب بلاغي يجعل من اللفظة المكررة محورا يدور حوله المعنى، مما يخلق إيقاعا داخليا مكثفا يشد أعصاب المتلقي ويوجه تفكيره نحو الغاية المنشودة. الحضور البلاغي هنا يبرز في كيفية تحويل التكرار من عيب لغوي إلى ميزة جمالية وإقناعية، حيث تكتسب الكلمة في كل مرة دلالة جديدة تضاف إلى سابقاتها. إن التناص الإيقاعي في هذا الجانب يهدف إلى محاكاة "الوقع التحذيري" للقرآن، فالإمام يكرر صيغ الوعيد والتحذير من الدنيا ليزرع في القلوب رهبة المعصية ورجاء المغفرة. إن الحضور البلاغي يتجلى أيضا في "التوازي الهيكلي" بين المقاطع، حيث تبدأ الجمل وتنتهي بنفس الصيغ الإيقاعية، مما يعطي للخطبة قوة دفع معنوية كبيرة. الإمام يستلهم من القرآن أيضا فن "التقابل الصوتي"، حيث يضع الكلمات المتضادة في أصواتها ومعانيها وجها لوجه لبيان الفارق بين الحق والباطل، وبين الموت والحياة. هذا الإيقاع المتقابل يساهم في توضيح الرؤية الكونية للإمام القائمة على الصراع بين قيم الوحي وقيم الجاهلية. إن الحضور البلاغي للصوت في النهج يعمل على "تجسيد العاطفة"، فالنبرة المرتفعة في التوبيخ والنبرة الهادئة في النصح تترجمان من خلال اختيار الحروف والكلمات ذات الإيقاع المناسب. إن هذا المطلب يخلص إلى أن نهج البلاغة هو سيمفونية لغوية قرآنية الصبغة، استطاع فيها الإمام أن يطوع أصوات اللغة لخدمة مقاصد الشريعة. إن ذوبان الإيقاع العلوي في الإيقاع القرآني يعكس وحدة المنهج والهدف، ويؤكد أن الإمام كان يتحدث بلسان القرآن وينطق بروح الوحي. إن هذا المستوى من الحضور البلاغي يجعل من النهج نصا معجزا في بابه، لا يمكن لأي بليغ أن يجاريه في قوته وتأثيره، لأنه يستمد مدده من النبع الإلهي الذي لا ينضب(**ضيف، 1960، 210**) .

نختتم المطلب الثالث من المبحث الثاني بالحديث عن الحضور البلاغي لـ "الانسجام الصوتي" كخاتمة للجمالية القرآنية في نهج البلاغة. إن الإمام علي عليه السلام استطاع أن يحقق أعلى درجات الانسجام بين الكلمة وسياقها، وبين الصوت وغرضه، وهو المبدأ الذي يقوم عليه الإعجاز القرآني. الحضور البلاغي هنا يظهر في خلو الكلام من "التنافر الحروفي" الذي يثقل اللسان ويؤذي السمع، فكلام الإمام يجري بسهولة فائقة رغم جزالته وفخامته. التناص في هذا الجانب هو تناص مع "طبيعة البيان الإلهي" الذي يتسم باليسر والوضوح والجمال. الإمام يوظف "الفواصل" لتكون بمثابة الخواتيم التي تستقر فيها النفس بعد عناء البحث والتفكير، مما يمنح المستمع شعورا بالراحة والاطمئنان للحقيقة المعروضة. إن الحضور البلاغي للإيقاع يتصل اتصالا وثيقا بـ "صدق اللهجة"، فالإيقاع في النهج ليس زخرفا خارجيا بل هو تعبير عن نبض القلب الحي المرتبط بالله. إن الإمام يستخدم "الصمت البلاغي" أو الوقفات بين المقاطع الصوتية ليعطي فرصة للمعنى لكي يترسخ، وهو فن قرآني برع فيه الوحي في تنزيله(**الزمخشري، 1987، 145**). إن هذا المطلب يثبت أن نهج البلاغة هو النموذج الأمثل للتطبيق البلاغي والجمالي للقرآن الكريم في أرقى مستوياته الصوتية. إن التفاعل بين الإيقاع العلوي والنظم القرآني قد خلق لغة فريدة تجمع بين هيبة الربوبية وفصاحة العبودية، مما جعل من نهج البلاغة نصا خالدا يتحدى الزمان. إن الحضور البلاغي للصوت والفاصلة قد منح الخطب طاقة روحية تجعل القارئ يشعر وكأن الكلام يتنزل عليه الآن ليعالج قضاياه وهمومه. إن المبحث الثاني بمطالبه الثلاثة (التناص، الصور، الإيقاع) أثبت أن البلاغة العلوية هي ابنة البلاغة القرآنية البكر، والشارح الأوفى لمكامن الجمال في كتاب الله. إن الإمام علي لم يقتبس من القرآن الفاظه فحسب، بل اقتبس منه روحه ونظامه وجماله، وصاغ منه نهجا للبلاغة والحياة(**الرازي، 1999، 88**).

المبحث الثالث: الأبعاد التداولية والحجاجية للحضور القرآني في نهج البلاغة

المطلب الأول: البعد الحجاجي والإقناعي للتوظيف القرآني

يعتبر البعد الحجاجي من أبرز الوظائف التداولية التي يؤديها الحضور القرآني في خطب نهج البلاغة، حيث لم يكن الإمام علي عليه السلام يستدعي النص القرآني لمجرد التبرك أو التزيين اللفظي، بل كان يوظفه كأداة برهانية عليا لإفحام الخصوم وتثبيت الحجج الشرعية والعقلية. إن الحجاج في نهج البلاغة يقوم على مرجعية الوحي بوصفها المرجعية التي لا يقبل المجتمع المسلم بغيرها حكما، ومن هنا يكتسب النص العلوي قوته الإقناعية من قوة النص الإلهي. يتجلى هذا البعد في استخدام الآيات القرآنية كـ "مقدمات يقينية" في القياس المنطقي الذي يبنيه الإمام للوصول إلى نتائج لا تقبل الشك(**الجاحظ، 1968، 142**). فعندما يتحدث الإمام عن أحقية الخلافة أو عن ضرورة الجهاد، فإنه يربط موقفه بآيات صريحة تجعل المخالف له مخالفا للقرآن الكريم نفسه. الحضور البلاغي هنا يتحول إلى سلطة تداولية تمنح الخطيب تفوقا معرفيا وأخلاقيا على مخاطبيه(**الصالح،1967، 405**). إن الإمام علي يدرك أن الإقناع لا يتم فقط من خلال جمالية العبارة، بل من خلال "سلطة المصدر"، ولذلك نجد أن التناص القرآني في مواضع الصراع السياسي يأخذ طابعا حجاجيا مكثفا، حيث يتم اختيار الآيات ذات الدلالات القاطعة التي لا تحتمل التأويل البعيد. إن هذا التوظيف يعكس عبقرية الإمام في إدارة الصراع الفكري باستخدام السلاح اللغوي الأكثر تأثيرا في الوجدان الجمعي. إن البعد الحجاجي يظهر أيضا في كيفية استحضار الأمثال القرآنية لضرب التشبيه بين مواقف المعاصرين ومواقف الأمم السابقة، مما يخلق حالة من التنبيه الذهني والتحذير النفسي. إن الإمام يستخدم "الاستدلال بالآية" ليس فقط كشاهد، بل كمحرك للعملية الإقناعية، حيث يبني فوق دلالة الآية طبقات من الشرح والبيان التي تجعل من النتيجة النهائية ضرورة عقلية وشرعية. هذا المطلب يحلل كيف استطاع الإمام أن يجعل من القرآن الكريم روحا تسري في أوصال الحجة العلوية، مما منح خطبه خلودا وقدرة على التأثير في العقول عبر العصور، بوصفها النموذج الأرقى للخطابة الحجاجية الملتزمة بنور الوحي(**عبده، 1944، 160**)

.

يستمر التحليل في هذا القسم حول كيفية اشتغال "الاستراتيجية الإقناعية" في نهج البلاغة من خلال الحضور القرآني، حيث ينتقل الإمام من الحجاج العام إلى الحجاج الخاص الذي يخاطب فئات معينة من المجتمع. إن الإمام علي عليه السلام يوظف "القيم القرآنية المشتركة" كأرضية صلبة للانطلاق نحو إقناع المترددين أو تثبيت المؤمنين. الحضور البلاغي هنا يتخذ شكل "المصادرة على المطلوب" ولكن بمنطق قرآني، حيث يجعل من القبول بالآية قبولا بالاستنتاج الذي يقدمه. هذا النوع من الحجاج يتطلب معرفة عميقة بسياقات النزول وبالمقاصد الكلية للشريعة، وهو ما توفر للإمام علي بصفته تلميذ الوحي الأول. إن الإمام يستخدم "التكرار الحجاجي" لبعض المفاهيم القرآنية مثل العدل والظلم والمسؤولية ليعمق الأثر الإقناعي في نفوس السامعين(**المطهري، 1985، 302**). إن الخطاب في نهج البلاغة لا يسعى فقط للإخبار، بل يسعى لـ "التغيير"، وهذا التغيير لا يتم إلا من خلال زعزعة القناعات القديمة وإبدالها بقناعات قرآنية جديدة. إن

الحضور الدلالي للقرآن في هذا السياق يعمل كـ "محفز سلوكي"، حيث يربط الإمام بين الموقف السياسي وبين المصير الأخروي، مستحضرا آيات الوعد والوعيد بأسلوب يضيق الخناق على الخصوم ويفتح آفاق التوبة للمقصرين. إن البعد الإقناعي يتجلى أيضا في "سلاسة الانتقال" بين البرهان العقلي الصرف والبرهان النقلي القرآني، مما يمنح الخطبة توازنا يرضي الفلاسفة والفقهاء والعامة على حد سواء(**العقاد،118،1952**). إن الإمام يبين في خطبه أن القرآن ليس نصا صامتا، بل هو "ناطق بالحق" من خلال لسان من يفهمه ويعمل به، ولذلك كان يصف نفسه بأنه "القرآن الناطق". هذا الحضور يمنح الحجة العلوية صبغة إلهية تجعل الاعتراض عليها اعتراضا على الحقيقة المطلقة. إن الاستراتيجية الحجاجية في النهج تعتمد أيضا على "الاستدوج المرجعي"، حيث يتم دمج الآية في صياغة لغوية علوية تجعل من الصعب الفصل بينهما، مما يؤدي إلى انتقال "قدسية الآية" إلى "قدسية الرأي العلوي" في ذهن المتلقي، وهذا هو قمة النجاح في العملية الإقناعية والتداولية(**مغنية، 1972، 156**) .

يتناول هذا القسم دور "التمثيل القرآني" في تعزيز القوة الإقناعية لخطب نهج البلاغة، حيث يستخدم الإمام علي عليه السلام القصص القرآني ليس كذكرى تاريخية، بل كقالب حجاجي يطبق على الواقع المعاصر. إن استدعاء قصص الأنبياء وصراعهم مع الطغاة يهدف إلى خلق "مماثلة تاريخية" بين جبهة الإمام وجبهة الحق، وبين خصومه وجبهة الباطل. الحضور البلاغي هنا يعمل على "تنميط" الخصوم ووضعهم في سياق تاريخي منبوذ قرآنيا، مما يسهل عملية إقناع الجماهير بضرورة مواجهتهم. إن الإمام يوظف دلالة "العاقبة" كما وردت في القرآن الكريم (والعاقبة للمتقين) ليبث روح الأمل في نفوس أتباعه، ويقوض الروح المعنوية لخصومه. هذا النوع من الحجاج النفسي يعتمد كليا على اليقين بالوعد الإلهي الذي يمثله القرآن. إن الإمام علي يبرع في استخدام "الاستدلال بالخلف"، حيث يبين فساد آراء الخصوم من خلال تعارضها مع النصوص القرآنية القطعية، مما يجعل موقفهم غير منطقي وغير شرعي في آن واحد. إن الحضور الدلالي يتجلى أيضا في توظيف "المصطلحات القرآنية السياسية" مثل المستضعفين، والمستكبرين، وحزب الله، وحزب الشيطان، لإعادة تعريف الصراع المجتمعي وفق رؤية إلهية. هذا التنميط الحجاجي يمنح الخطبة وضوحا فكريا يساعد في اتخاذ القرار السياسي والجهادي. إن الإمام لا يكتفي بإقناع العقول، بل يسعى لـ "استمالة القلوب، في هذه الصفحة، نركز على "البعد النفسي للحجاج القرآني" في نهج البلاغة، وكيف استخدم الإمام علي أساليب الترغيب والترهيب القرآنية لتحقيق الإقناع السلوكي. إن الحجاج في الخطاب العلوي لا يتوقف عند حدود المنطق الجاف، بل يتعداه إلى مخاطبة الغرائز الإنسانية العليا والبحث عن الخلاص الروحي. الحضور البلاغي يبرز في استخدام "آيات الوعيد" لزجر الناس عن التخاذل، و"آيات الوعد" لتحفيزهم على التضحية والعمل. الإمام يعيد صياغة هذه المعاني بأسلوب يجعل السامع يشعر وكأن القيامة قد قامت، وكأن الجنة والنار أمام عينيه، وهو ما يعرف بـ "تجسيد الغيب" وهو أسلوب قرآني بامتياز. هذا التجسيد يعمل كقوة حجاجية قاهرة تدفع المرء نحو اتخاذ موقف محدد دون تردد. إن الإمام علي يربط بين "الصدق مع الله" وبين "الوفاء بالبيعة"، مستخدما الدلالة القرآنية للعهد والأمانة كحجة دامغة على ضرورة الالتزام بالمسؤولية الوطنية والدينية. إن البعد الإقناعي يتجلى أيضا في استخدام "الاستفهامات التقريرية" التي تحث المتلقي على مراجعة نفسه والإقرار بالحقيقة، محاكيا قوله تعالى "أفلا تبصرون" و"أفلا تذكرون". هذه الأسئلة الحجاجية تفتح ثغرات في جدار الممانعة النفسية لدى الجمهور، وتجعلهم يشاركون في عملية بناء الاستنتاج النهائي. إن الإمام علي يدرك أن الجمهور يتأثر بالكلمة التي لها رصيد في وجدانه، ولذلك كان القرآن هو رصيده الدائم في كل مواجهة. إن الحضور الدلالي للقيم القرآنية في الحجاج العلوي يهدف أيضا إلى صياغة "هوية إيمانية" موحدة تتجاوز الخلافات القبلية، مما يسهل عملية القيادة والتوجيه. إن هذا المطلب يخلص إلى أن الحجاج القرآني في النهج هو حجاج "تغييري" يسعى لإعادة بناء الإنسان من الداخل، من خلال ربطه بمصدر القوة المطلقة. إن النجاح الباهر لخطب الإمام في التأثير عبر الأجيال يعود إلى هذا الاندماج العضوي بين الحجة المنطقية وبين النور الإلهي المنبعث من الآيات، مما جعل من نهج البلاغة كتابا لا يمل وقوة لا تقاوم في ميادين الفكر والروح(**الشيرازي، 1980، 112**).

تختتم هذه الصفحات الخمس من المطلب الأول بتحليل "الأثر التداولي بعيد المدى" للحضور القرآني في الحجة العلوية، وكيف تحولت هذه الحجج إلى ثوابت في الفكر الإسلامي. إن الإمام علي عليه السلام، من خلال توظيفه للقرآن، لم يكن يسعى لانتصار وقتي في معركة أو خلاف، بل كان يؤسس لـ "منهج تفكير" يربط الواقع بالوحي في كل زمان ومكان. الحضور البلاغي هنا يتجلى في تحويل الآية من نص تاريخي إلى "قاعدة قانونية وأخلاقية" عابرة للعصور(**السيوطي، 1973، 315**). إن الاستراتيجية الإقناعية في نهج البلاغة قد نجحت في جعل القرآن هو "اللغة المشتركة" التي يتفاهم بها المسلمون في قضاياهم الكبرى، وبذلك قطع الإمام الطريق على أي محاولة لعزل الدين عن الحياة السياسية والاجتماعية. إن الحضور الدلالي للقرآن في الحجاج العلوي يمثل ذروة "الأمانة العلمية والدينية"، حيث لم يحرف الإمام الكلم عن

مواضعه لخدمة غرضه، بل استخرج من المواضع ما يخدم الحق. إن هذا المطلب يؤكد أن نهج البلاغة هو "البرهان التطبيقي" لعظمة القرآن، حيث أثبت الإمام بالدليل القاطع أن القرآن قادر على حل معضلات الإنسان في كل العصور إذا ما وجد البيان الفصيح والعقل المستنير. إن البعد الإقناعي في النهج قد استمد ديمومته من صدق اللهجة ومن جلال المصدر، مما جعل كلام الإمام علي يتجاوز حدود الخطابة التقليدية ليصبح "دستورا روحيا وفكريا" للأمة. إننا نخلص في نهاية هذا المطلب إلى أن الحضور القرآني في نهج البلاغة قد أدى وظيفة "التأصيل الحجاجي"، حيث منح الرؤية العلوية شرعية مطلقة وقوة نفاذ لا تضاهى، وأثبت أن البلاغة الحقيقية هي التي تخدم الحقيقة وتستضيء بنور الوحي الإلهي(**الزمخشري، 1987، 180**).

المطلب الثاني: البعد الجمالي والفني للتوظيف القرآني

يعد البعد الجمالي والفني في نهج البلاغة تجلياً فريداً لامتزاج عبقرية البيان البشري بنور الإعجاز الإلهي، حيث لم يكن الإمام علي عليه السلام يستلهم المعاني القرآنية فحسب، بل كان يمتص الروح الجمالية الكامنة في النظم القرآني ويعيد بثها في ثنايا خطبه بأسلوب يجمع بين الجلال والجمال. إن الجمالية في نهج البلاغة ليست مجرد زينة لفظية أو محسنات بدعية مضافة، بل هي جمالية "عضوية" تنبع من صميم التجربة الإيمانية واللغوية للإمام(**الجاحظ، 1968، 240**). يتجلى هذا البعد في قدرة الإمام على خلق "فضاء فني" يضاهي في طهره وصفائه الفضاءات القرآنية، حيث تصبح المفردة القرآنية داخل الخطبة بمثابة المركز المغناطيسي الذي يجذب حوله بقية المفردات ليرسم لوحة بيانية متكاملة. إن الحضور الجمالي يبرز في كيفية تعامل الإمام مع "المفارقة" و"التضاد" بأسلوب قرآني، حيث يجمع بين صور الموت والحياة، والجنة والنار، والظلمة والنور، ليخلق حالة من التوتر الفني الذي يشد انتباه المتلقي ويحفز خياله. إن الإمام يستلهم من القرآن "فن التصوير بالكلمات"، فتراه يصف الجنة وأنهارها أو النار وزقومها بلغة تجعل المعاني الغيبية تبدو وكأنها حقائق حسية ماثلة للعيان، وهذا النوع من التصوير هو قمة الفن البلاغي الذي يهدف إلى التأثير النفسي والتربوي. إن الحضور البلاغي في هذا الجانب يظهر في استخدام "الاستعارة التخييلية" التي تمنح المعاني أجنحة تحلق بها في سماء الروح، مستمدة ألوانها وظلالها من معين الوحي. إن الإمام علي يدرك أن الجمال هو أقصر الطرق للوصول إلى الحقيقة، ولذلك نجد أن خطبه تفيض بصور جمالية تسبح في ملكوت الله، معبرة عن عمق التفاعل بين العقل المبدع والنص المقدس(**الصالح، 1967، 450**). إن هذا المطلب يحلل كيف تحول نهج البلاغة إلى "معرض فني" للقيم الروحية، حيث استطاع الإمام أن يطوع اللغة لتكون مرآة تعكس جمال الخلق وحكمة الخالق، مما جعل من كلامه نصاً خالداً يتجدد جماله بتجدد القراءة والتدبر، بوصفه النموذج الأرقى للأدب الإسلامي الرفيع الذي يستمد قيمته من القرآن الكريم(**ضيف،1960، 192**).

يستمر التحليل الجمالي في هذا المطلب من خلال تتبع "فن التناسب والتناسق" الذي استلهمه الإمام علي من القرآن الكريم في بناء الوحدة الموضوعية للخطبة. إن الجمالية الفنية في نهج البلاغة تكمن في ذلك "التلاحم التركيبي" بين أجزاء الخطبة، حيث نجد أن الانتقال من غرض إلى آخر يتم بانسجام تام يحاكي الانتقالات القرآنية بين القصص والأحكام والمواعظ. الحضور البلاغي هنا يتجلى في استخدام "الروابط الجمالية" التي تجمع بين جلال المطلب وعذوبة اللفظ، مما يخلق توازناً فنياً يريح النفس ويغذي العقل. الإمام علي يوظف "الألوان البديعية" مثل الطباق والمقابلة لا لغرض التزويق اللفظي، بل لبيان الفوارق الدقيقة بين قيم الحق والباطل، وهو منهج قرآني يعتمد على إظهار الأشياء بأضدادها لترسيخ المعنى. إن الحضور الدلالي والجمالي يمتزجان في وصف الإمام لـ "عجائب الخلق"، حيث يستعير من القرآن دقة الوصف وبراعة التشبيه، فيصور الطاووس أو النملة أو الخفاش بأسلوب يجمع بين العلم والفن، مبرزاً قدرة الخالق من خلال الجمال الكامن في المخلوقات. إن هذا النوع من "الأدب الوصفي" يمثل قمة التفاعل الجمالي مع النص القرآني، حيث يصبح الكلام تسبيحاً بالجمال كما هو تسبيح بالتوحيد. إن البعد الفني يظهر أيضاً في "هندسة الجملة"، حيث نجد أن الإمام يراعي بدقة طول الجملة وقصرها لتتناسب مع الحالة الشعورية التي يريد نقلها للمتلقي، تماماً كما تفعل السور القرآنية في مواضع التبشير والإنذار. إن الحضور البلاغي للصورة الفنية في النهج يعمل على "تلطيف المعاني الجافة" وتحويلها إلى وجبات روحية سائغة، مما يرفع من سوية الوعي الجمالي لدى الأمة. إن الإمام علي قد صاغ من خلال هذا التوظيف مدرسة فنية قائمة بذاتها، تجمع بين أصالة المنبع القرآني وابتكار الصياغة العلوية، مما جعل من نهج البلاغة المرجع الأول لكل أديب وبليغ يبتغي الوصول إلى ذروة البيان العربي الممتزج بالنور الإلهي(**المطهري، 1985، 320**)

.

يتناول هذا القسم دور "الإيقاع النفسي واللون الصوتي" في تشكيل الجمالية الفنية لنهج البلاغة، وكيف استلهم الإمام علي هذا البعد من الجرس الموسيقي للآيات القرآنية. إن الحضور البلاغي في هذا الجانب لا يقتصر على السجع، بل يمتد إلى

ما يمكن تسميته بـ "الهارموني الصوتي" الذي يربط بين نبرة الصوت ومضمون الفكرة. الإمام يوظف الحروف المهموسة والمجهورة، والمقاطع الممدودة والمقصورة، ليخلق جواً نفسياً يتناسب مع موضوع الخطبة، فإذا كان الموضوع عن الموت نجد الإيقاع ثقيلاً موحياً بالرهبة، وإذا كان عن الرجاء نجد الإيقاع خفيفاً منساباً. هذا التوظيف الفني هو انعكاس للدراسات الصوتية التي تتناول الإعجاز القرآني، حيث يثبت الإمام أن اللغة هي كائن حي يتنفس من خلال أصواته. الحضور الدلالي هنا يعمل بالتوازي مع الحضور الفني، فالكلمة التي اختارها الإمام تحمل في طياتها "تاريخاً قرآنياً" يستدعي في ذهن السامع كل الظلال الجمالية المرتبطة بها في الوحي(**العقاد، 1952، 142**). إن البعد الجمالي يتجلى أيضاً في "فن الكناية والتعريض"، حيث يبتعد الإمام عن المباشرة الفجة ويميل إلى الإشارة اللطيفة التي تستفز عقل المتلقي وتشركه في إنتاج المعنى، وهو نهج قرآني يهدف إلى الرقي بالذوق الأدبي. إن الصور البيانية في النهج تمتاز بـ "الكثافة والتركيز"، حيث تختزل الصورة الواحدة مساحات شاسعة من المعاني الإيمانية، مما يعطي للنص عمقاً فنياً لا يدرك من القراءة الأولى. إن الإمام علي يبرع في استخدام "التشخيص الفني" للمفاهيم المجردة، فيجعل من الدنيا امرأة غادرة، ومن الموت زائراً لا يستأذن، مستلهماً هذه الحيوية من الصور القرآنية التي تبعث الروح في الجمادات(**الجرجاني، 1982، 115**).

في هذه الصفحة، نركز على "جماليات التكرار والترجيع" في نهج البلاغة كأداة فنية مستمدة من الأسلوب القرآني لتعميق الأثر الوجداني. إن التكرار في كلام الإمام علي ليس حشواً لغوياً، بل هو "لازمة موسيقية وفكرية" تهدف إلى تثبيت المعنى الجمالي في النفس(**مغنية، 1972، 190**). التناص البلاغي هنا يبرز في محاكاة التكرار القرآني في سور مثل الرحمن والمرسلات، حيث تصبح الجملة المكررة بمثابة "القرار" في المقطوعة الموسيقية الذي يعود إليه الخطيب بعد كل جولة بيانية. هذا النوع من التكرار يمنح الخطبة تماسكاً فنياً ويزيد من قوتها التأثيرية، خاصة في مواضع الوعظ والتذكير بالآخرة. الحضور البلاغي يتجلى أيضاً في "فن الالتفات"، حيث ينتقل الإمام من مخاطبة الجماعة إلى مخاطبة النفس أو العكس، وهو أسلوب يكسر رتابة الخطاب ويضفي عليه مسحة من الحيوية والدراما الفنية. إن الإمام علي يستخدم "التضاد الجمالي" بين القلة والكثرة، وبين القوة والضعف، ليبين تفاهة الماديات أمام عظمة الروح، مستخدماً لغة قرآنية رصينة تجمع بين الرقة والجزالة. إن البعد الفني يظهر في "بناء الخاتمة"، حيث تنتهي خطب الإمام غالباً بمقاطع إيقاعية قوية تلخص المضمون الجمالي وتترك السامع في حالة من الذهول والانبهار بجمال التعبير(**البحراني، 1984،260**). إن هذا الحضور البلاغي المكثف يجعل من نهج البلاغة مدرسة في "الأداء الفني الرفيع"، حيث يتعلم المرء كيف يزن الكلمة بميزان الجمال والشرع معاً. إن الإمام يثبت من خلال خطبه أن البلاغة ليست مجرد إيصال للمعنى، بل هي "صناعة للجمال" تهدف إلى الارتقاء بالإنسان نحو مراتب الكمال. إن الصور الفنية في النهج تمتاز بـ "الأصالة والابتكار"، فهي أصيلة لأنها نابعة من مشكاة الوحي، ومبتكرة لأنها صيغت بذهن علوي يدرك دقائق النفس وجماليات اللغة، مما يجعل من كل خطبة لوحة خالدة تتحدى الاندثار وتظل منبعاً للإلهام الجمالي عبر العصور(**الرازي، 1999، 130**) .

تختتم هذه الصفحات الخمس من المطلب الثاني بتحليل "الوحدة العضوية والجمالية الكلية" لنهج البلاغة بوصفه أثراً فنياً متكامل المعالم يستمد هويته من القرآن الكريم. إن الجمالية في هذا الكتاب لا تتجزأ، بل هي سياق متصل يربط بين الفكر واللغة والخيال في بوتقة واحدة. الحضور البلاغي يتجلى في أن الإمام علي عليه السلام استطاع أن يجعل من "القرآنية" صفة ملازمة لأسلوبه الشخصي، حتى صار يقال إن كلامه "دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق"، وهذا الوصف في حقيقته هو اعتراف بالسمو الجمالي والفني الذي بلغه النهج. إن التناص الفني هنا وصل إلى مرحلة "الاندماج الإبداعي"، حيث لا تشعر بنبوءة الآية داخل كلام الإمام، بل تشعر أنها جزء من نسيج لغوي واحد يفيض بالنور والجمال. إن البعد الفني يبرز في "القدرة على التجريد"، حيث يحول الإمام المفاهيم العقدية الثقيلة إلى صور جمالية رقيقة تنساب إلى القلوب دون استئذان، وهو سر القبول العالمي الذي حظي به هذا الكتاب. إن الحضور الدلالي والجمالي للقرآن في النهج قد خلق لغة "عابرة للثقافات"، لأن الجمال لغة يفهمها الجميع، والصدق الفني لا يحده زمان. إن الإمام علي يخلص في نهاية هذا المطلب إلى أن الفن الحقيقي هو الذي يخدم الحق، وأن الجمال لا ينفصل عن الخير والحق، وهو الثالوث الذي يقوم عليه التصور الإسلامي للوجود. إننا نؤكد من خلال هذا التحليل أن نهج البلاغة هو المعين الذي لا ينضب لكل من أراد أن يدرس "جماليات الكلمة" في رحاب الوحي، وأنه يظل النموذج الأوفى لكيفية تحويل النص المقدس إلى طاقة إبداعية خلاقة تبني الإنسان وتجمل الحياة. إن هذا المطلب يثبت أن البعد الجمالي والفني في النهج هو الذي منح الخطب صبغتها الخالدة وجعلها تتألق في سماء الأدب العالمي كواحدة من أعظم ما جادت به القريحة البشرية المستنيرة بنور النبوة والقرآن(الشيرازي، 1980، 202). إن هذا المطلب يفتح الطريق للمطلب الثالث الذي سيتناول "أثر هذا الحضور

في توجيه الفكر الإسلامي"(**السيوطي،1973، 340**)، إن الترابط بين الفن والعقيدة في النهج يمثل قمة الوعي الجمالي الإسلامي(**الزمخشري، 1987، 210**).

المطلب الثالث: أثر الحضور القرآني في توجيه الفكر الإسلامي

إن الحضور الدلالي والبلاغي للقرآن الكريم في نهج البلاغة لم يقف عند حدود الإبداع اللغوي أو الحجاجي الآني، بل تجاوز ذلك ليصبح قوة دفع معرفية أسهمت في تشكيل وتوجيه الفكر الإسلامي عبر القرون. إن الإمام علي عليه السلام، من خلال استحضاره المكثف والعميق للنص القرآني، قدم منهجاً فريداً في "قراءة الوحي" وربطه بمتغيرات الواقع البشري، مما جعل من نهج البلاغة جسراً معرفياً عبرت من خلاله المفاهيم القرآنية الكبرى إلى حقول الفلسفة والكلام والسياسة والأخلاق. يتجلى هذا الأثر في المقام الأول في تأسيس "العقلانية الإسلامية" التي لا تنفصل عن النص، فالإمام في خطبه التوحيدية استخدم الدلالة القرآنية ليرسم حدود البحث العقلي في الذات الإلهية، مانعاً العقل من الانزلاق في التشبيه أو التعطيل، وهو المنهج الذي سار عليه المتكلمون والفلاسفة المسلمون لاحقاً. إن الحضور البلاغي للقرآن في كلام الإمام منح الفكر الإسلامي "لغة اصطلاحية" رصينة قادرة على استيعاب أعقد القضايا الوجودية، حيث تحولت المفردة القرآنية في النهج إلى "مفهوم فلسفي" يفسر ثنائية الخلق والأمر، والدنيا والآخرة(**المطهري، 1985، 350**). إن الأثر التوجيهي يبرز أيضاً في كيفية إرساء قواعد "التفسير الموضوعي" للقرآن، حيث لم يتعامل الإمام مع الآيات كجزئيات معزولة، بل كمنظومة متكاملة يفسر بعضها بعضاً، وهو ما فتح آفاقاً واسعة للمفسرين في العصور التالية لاستنطاق النص القرآني في قضايا الاجتماع والسياسة(**الطباطبائي، 1971، 240**). إن نهج البلاغة، بهذا المعنى، قد صاغ "الوعي التاريخي" للأمة من خلال ربط المصير الجماعي بمدى الالتزام بالسنن القرآنية، مما جعل الفكر الإسلامي يتجه نحو البحث عن أسباب النهوض والافول في ضوء الكتاب العزيز. إن هذا المطلب يحلل كيف تحول الحضور القرآني في النهج إلى "مرجعية فكرية" عابرة للمذاهب، أثرت في بناء المنظومة الأخلاقية التي تعلي من شأن العقل والعدل والحرية، مستمدة شرعيتها من ديمومة النص الإلهي وفصاحة البيان العلوي الذي استوعب مقاصد الوحي وأعاد إنتاجها في قوالب فكرية حركية لا تزال تلهم العقل الإسلامي المعاصر في بحثه عن الأصالة والتجديد (**الصالح، 1967، 480**).

يستمر أثر الحضور القرآني في توجيه الفكر الإسلامي من خلال صياغة "النظرية الأخلاقية والتربوية" التي هيمن عليها نهج البلاغة بوصفه المفسر العملي للقيم القرآنية. إن الفكر الإسلامي مدين للإمام علي في تحويل الزهد والتقوى من مفاهيم رهبانية إلى "قيم اجتماعية وسياسية" فاعلة. الحضور الدلالي للقرآن في هذا السياق جعل من الأخلاق ركيزة أساسية في بناء الدولة والمجتمع، حيث لا يمكن فصل السياسة عن العدل القرآني. الإمام علي وظف البعد الجمالي والبلاغي للآيات ليخلق "ذائقة أخلاقية" رفيعة لدى المسلمين، جعلتهم ينظرون إلى المسؤولية كأمانة ثقيلة، وإلى السلطة كأداة لإحقاق الحق، مستلهمين ذلك من قصص الأنبياء والوعيد القرآني للظالمين. هذا التوجيه الفكري أدى إلى ظهور مدرسة "التصوف السني" والزهد الواعي التي استمدت أصولها من خطب النهج الممتزجة بنور الوحي(**أبي الحديد، 1959، 140**). إن الأثر يبرز أيضاً في توجيه "الفكر المقاصدي"، حيث ركز الإمام على مقاصد الشريعة في حفظ النفس والدين والعقل والمال، معتبراً أن النص القرآني جاء لتحرير الإنسان من عبودية الأوثان المادية والمعنوية. إن الحضور البلاغي المكثف في وصايا الإمام لعماله وأبنائه شكل "ميثاقاً تربوياً" اعتمدته الأجيال في تربية النشء على قيم الصدق والوفاء والشجاعة(**عبده، 1944، 210**). إن الفكر الإسلامي في جوانبه التربوية لم يجد نصاً أقوى تأثيراً من نهج البلاغة في غرس الرقابة الذاتية المرتبطة بالله، بفضل التوظيف البارع لآيات الحساب والجزاء. إن الإمام علي قد أخرج القرآن من رتابة التلاوة إلى حيوية التطبيق، مما جعل الفكر الإسلامي يتسم بـ "الروحية العملية" التي تزاوج بين العبادة وعمارة الأرض. إن هذا الحضور قد حمى الفكر الإسلامي من الانزلاق نحو المادية الجافة أو الروحانية المنعزلة، وقدم نموذجاً للتوازن الإنساني الذي ينشده القرآن الكريم في قوله "وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا". إن هذا المطلب يخلص إلى أن النهج كان بمثابة "البوصلة الأخلاقية" التي وجهت مسار الفكر الإسلامي نحو التكامل بين القيم الإلهية والمتطلبات البشرية(**الشيرازي، 1980، 88**) .

وفي الجانب "السياسي والحقوقي"، كان للحضور القرآني في نهج البلاغة أثر حاسم في توجيه فقه الحكم والنظرية السياسية في الإسلام. إن الإمام علي عليه السلام قدم من خلال عهوده ورسائله التي تفيض بالروح القرآنية رؤية شاملة لـ "الدولة العادلة" القائمة على مبدأ السيادة لله والحقوق للناس. الحضور الدلالي لآيات القسط والميزان تحول في النهج إلى تشريعات عملية تنظم العلاقة بين الحاكم والمحكوم، وبين الدولة والمجتمع. هذا التوجيه الفكري أثر في صياغة مفهوم "العدالة الاجتماعية" في الفكر الإسلامي المعاصر، حيث استلهم الباحثون من خطب الإمام أسس التوزيع العادل للثروة

ومحاربة الاحتكار، مستندين إلى التوظيف العلوي للقرآن في هذا الصدد. إن الحضور البلاغي للقرآن في الخطاب السياسي العلوي منح هذا الخطاب "صبغة دستورية" تجعل من النص القرآني هو المرجع الأعلى لفض النزاعات، وهو ما تجلى في قضية التحكيم ورفض الإمام لتحريف معاني الكتاب لخدمة المصالح الضيقة. إن أثر النهج في توجيه الفكر الحقوقي برز في تأكيده على "كرامة الإنسان" بوصفه خليفة الله في الأرض، وهي دلالة قرآنية جعلها الإمام أساساً للتعامل مع الرعية بغض النظر عن انتمائاتهم، في قوله المشهور "إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق".

لا يمكن إغفال الأثر "اللغوي والأدبي" العميق الذي تركه الحضور القرآني في نهج البلاغة على توجيه مسار الأدب العربي والفكر الجمالي الإسلامي. إن الإمام علي عليه السلام، من خلال هذا الاندماج الإعجازي بين بيانه والبيان القرآني، وضع المعايير العليا لـ "البلاغة الملتزمة" التي تجمع بين جمال الشكل وسمو المضمون. الحضور البلاغي للقرآن في النهج وجه الأدباء والبلغاء عبر القرون نحو اتخاذ القرآن كنموذج أعلى للمحاكاة، بعيداً عن التكلف اللفظي أو المجون. إن نهج البلاغة هو الذي حفظ للغة العربية قوتها وجزالتها في مواجهة موجات الأعجمية، بفضل استناده إلى المصدر الإلهي الخالد. هذا التوجيه الفكري الجمالي أدى إلى ظهور مدرسة "النثر الفني" في الأدب العربي التي اعتمدت على الازدواج والسجع المتزن والفاصلة الرشيقة، وهي سمات استلهمها الإمام من القرآن ونقلها إلى الأدب ببراعة فائقة. إن الأثر برز أيضاً في توجيه "النقد الأدبي"، حيث أصبح الارتباط بالقيم القرآنية معياراً للحكم على جودة النص وخلوده. إن الحضور الدلالي للقرآن في النهج منح الأدب الإسلامي "موسوعية المعرفة"، فالخطبة الواحدة تجمع بين الفقه والتاريخ والفلسفة والطبيعة، مما وجه الأدباء نحو الكتابة الموسوعية التي ميزت العصر الذهبي للحضارة الإسلامية. إن الإمام علي قد أثبت من خلال النهج أن اللغة العربية قادرة على استيعاب كل العلوم بفضل مرونتها المستمدة من القرآن، مما وجه الفكر اللغوي نحو البحث في أسرار الاشتقاق والبيان. إن هذا المطلب يخلص إلى أن نهج البلاغة قد صاغ "الهوية الجمالية للأمة"، وجعل من الفصاحة العلوية الممتزجة بالوحي نموذجاً يحتذى لكل من أراد أن يكتب نصاً يجمع بين التأثير النفسي والبرهان العقلي، مما جعل من الأدب الإسلامي أدباً رسالياً يهدف إلى الرقي بالإنسان وجمال الحياة(**الزمخشري، 1987، 312**).

تختتم هذه الدراسة التحليلية في المطلب الأخير بتناول "الوحدة الكلية والأثر الكوني" للحضور القرآني في نهج البلاغة، وكيف وجه الفكر الإسلامي نحو "العالمية". إن الإمام علي عليه السلام لم يقدم خطاباً محلياً أو زمنياً محدوداً، بل قدم من خلال القرآن رؤية كونية تخاطب الإنسان بما هو إنسان. الحضور الدلالي للمفاهيم القرآنية الكبرى مثل الفطرة، والسنن الكونية، والمصير البشري، وجه الفكر الإسلامي نحو الانفتاح على الثقافات الأخرى بثقة وقوة، معتبراً أن الحكمة ضالة المؤمن. هذا التوجيه الفكري هو الذي سمح للحضارة الإسلامية أن تقود العالم لقرون، بفضل المنهج الذي رسمه الإمام في الموازنة بين الوحي والعقل. إن الحضور البلاغي والجمالي قد منح نهج البلاغة "لغة عالمية" تتجاوز الحواجز اللسانية، لأن صدق التجربة الروحية الممتزجة بنور الله تصل إلى القلوب بالفطرة. إننا نخلص في نهاية هذا البحث إلى أن نهج البلاغة ليس مجرد كتاب جمع فيه كلام الإمام، بل هو "مشروع فكري متكامل" هدفه إعادة صياغة الوجود الإنساني وفق المعايير القرآنية(**الرازي، 1999، 145**)، إن الأثر التوجيهي للنهج لا يزال مستمراً حتى اليوم، حيث يجد فيه الباحثون المعاصرون حلولاً لمعضلات الحداثة من خلال الرجوع إلى الأصول الثابتة التي عرضها الإمام ببيان لا يطاول. إن الارتباط بين القرآن والنهج هو ارتباط "المصدر بالتطبيق"، و"النور بالمرآة"، مما جعل من كلام الإمام علي النسخة البشرية الأكثر وفاءً للإعجاز الإلهي. إن هذا الحضور قد منح الفكر الإسلامي ديمومته وقدرته على التجدد، وأثبت أن الإسلام ليس مجرد طقوس بل هو منهج حياة متكامل يستمد جماله وجلاله من بلاغة الوحي واستقامة النهج(**الجرجاني، 1982، 190**).

النتائج النهائية للبحث

1. أثبت البحث أن الحضور القرآني في نهج البلاغة ليس مجرد اقتباس عابر، بل هو "تفاعل بنيوي" شمل الجوانب الدلالية والبلاغية والحجاجية، مما جعل النهج مرآة عاكسة لإعجاز القرآن.
2. توصلت الدراسة إلى أن الإمام علي عليه السلام وظف السنن القرآنية (التاريخية والتشريعية) لبناء "فلسفة سياسية واجتماعية" متكاملة لا تزال تمثل مرجعية في الفكر الإسلامي المعاصر.
3. كشف البحث عن القوة "الحجاجية والإقناعية" التي يمنحها النص القرآني للخطاب العلوي، مما ساعد في تثبيت قيم الحق والعدل في مواجهة الانحرافات الفكرية والسياسية.
4. بينت الدراسة أن الجمالية الفنية في النهج (الصور، الإيقاع، الفاصلة) هي محاكاة إبداعية للنظم القرآني، مما رفع من سوية الأدب العربي ومنحه هوية إيمانية فريدة.

5. خلص البحث إلى أن نهج البلاغة لعب دوراً محورياً في توجيه الفكر الإسلامي نحو "العقلانية والعدالة والمقاصدية"، بفضل ذوبانه الكامل في المعين القرآني.
6. توصل البحث إلى أن الحضور الدلالي للقرآن الكريم في نهج البلاغة يمثل بنية فكرية وعقدية متكاملة، حيث استطاع الإمام علي تحويل المفاهيم القرآنية المجردة إلى قوانين حركية تحكم السلوك الفردي والاجتماعي.
7. أثبتت الدراسة أن الحضور البلاغي يتجاوز مجرد الاقتباس اللفظي إلى ذوبان كامل في النظم القرآني، من خلال التناص، والصور المجازية، والإيقاع الصوتي، مما جعل كلام الإمام "دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق".
8. خلص البحث إلى أن نهج البلاغة يمثل التطبيق العملي والبياني الأول لمقاصد القرآن الكريم، مما يجعله مرجعا أساسيا لفهم روح الإسلام وعمق لغته العربية الشريفة.
9. تبين أن الإمام علي وظف السنن التاريخية والتشريعية القرآنية لبناء رؤية سياسية واجتماعية عادلة، تربط بين الأرض والسماء في وحدة موضوعية فريدة.

التوصيات

1. ضرورة التوسع في دراسات "التناص القرآني" في نهج البلاغة باستخدام المناهج اللسانية الحديثة للكشف عن طبقات المعنى المستترة.
2. العمل على إنشاء "معجم دلالي" يربط بين المفردات القرآنية واستخداماتها في نهج البلاغة لبيان مدى التطور الدلالي الذي أحدثه الإمام علي.
3. تشجيع الباحثين في علم النفس والاجتماع على دراسة الأثر التربوي للخطاب العلوي الممتزج بالقرآن في بناء الشخصية الإسلامية المتوازنة.
4. ترجمة الدراسات البلاغية العلوية إلى لغات عالمية لتعريف العالم بمدى الارتباط بين الأدب العربي الرفيع والوحي الإلهي المقدس.
5. يوصي البحث بضرورة تكثيف الدراسات الأكاديمية التي تجمع بين علوم القرآن وعلوم البلاغة في نهج البلاغة، للكشف عن مزيد من أسرار التفاعل بين النصين.
6. التوصية بإدراج مادة "البلاغة العلوية وأثر القرآن فيها" ضمن المناهج الجامعية المتخصصة في اللغة العربية والدراسات الإسلامية.
7. دعوة الباحثين إلى استخدام المناهج الأسلوبية الحديثة (مثل اللسانيات الحاسوبية) لتحليل الترددات اللفظية والأنماط الإيقاعية المشتركة بين القرآن والنهج.
8. ضرورة ترجمة هذه الدراسات إلى اللغات العالمية لبيان عظمة التراث الإسلامي وقدرة العقل العربي المبدع على التفاعل مع الوحي الإلهي.

المصادر والمراجع

1. ابن أبي الحديد، "شرح نهج البلاغة"، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة 1959.
2. الجاحظ، "البيان والتبيين"، دار الفكر، بيروت 1968.
3. الزمخشري، "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل"، دار الكتاب العربي، بيروت 1987.
4. جلال الدين السيوطي، "الإتقان في علوم القرآن"، المكتبة الثقافية، بيروت 1973.
5. صبحي الصالح، "نهج البلاغة" (تحقيق)، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1967.
6. عباس محمود العقاد، "عبقرية الإمام علي"، دار الهلال، القاهرة 1952.
7. عبد القاهر الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، دار المعرفة، بيروت 1982.
8. فخر الدين الرازي، "مفاتيح الغيب"، دار إحياء التراث العربي، بيروت 1999.
9. محمد حسين الطباطبائي، "الميزان في تفسير القرآن"، مؤسسة الأعلمي، بيروت 1971.
10. محمد جواد مغنية، "في ظلال نهج البلاغة"، دار العلم للملايين، بيروت 1972.
11. محمد عبده، "شرح نهج البلاغة"، مطبعة الاستقامة، القاهرة 1944.
12. مرتضى المطهري، "سيري در نهج البلاغة"، ترجمة محمد علي أذرشب، دار التيار، طهران 1985.
13. ميثم البحراني، "شرح نهج البلاغة"، مكتبة الإعلام الإسلامي، قم 1984.
14. هادي الخطيب، "مصادر نهج البلاغة"، دار الأضواء، بيروت 1988.